أسرار المثل الناري في الآيتين ١٧ ـ ١٨ من سورة البقرة ولطائفه عند المفسرين
عرض ودراسة وتعليق

إعداد

أ.د.م. محمد بن عبد الرحمن البليمي

أستاذ مساعد بكلية الشريعة وأصول الدين

جامعة نجران

أسرار المثل الناري في الآيتين (١٧-١٨) من سورة البقرة ولطائفه عند المفسرين عرض ودراسة وتعليق.

محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله البليمي
قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية الشريعة وأصول الدين، جامعة نجران، نجران، المملكة العربية السعودية
البريد الإلكتروني:maalblaymi@nu.edu.sa

ملخص البحث:

يتضمن هذا البحث عرض وبيان لآراء المفسرين وأقوالهم في بيان هذا المثل الناري في قوله تعالى في أول سورة البقرة: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّه بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ "صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾ البقرة: ١٧ - ١٨، وبيان اللطائف والأسرار التي اشتملت عليه، ويتكون البحث من مقدمةٍ وتمهيد وفصل يشمل خمسة مباحث ثم خاتمة أما المقدمة: ففيها بيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث والدراسة. وأما التمهيد: ففيه الحديث عن تعريف المثل لغة واصطلاحا، وأقسام الأمثال، وفوائد ضرب الأمثال في القرآن الكريم، إضافة إلى أهمية هذا المثل الناري. وأما الفصل الثاني فاشتمل على مباحث تناولت فيها المعنى الإجمالي للآيتين، والمثل، مع بيان جمل المثل الناري وأسراره ولطائفه عند المفسرين بالتفصيل.

الكلمات المفتاحية: مثل، ناري، سورة البقرة، تفسير، لطائف

The secrets of the fiery exemplary in the two verses (17-18) of Surat Al-Baqarah [The cow] [Surah 1] and its mercy according to the interpretors, [A presentation, study and commentary].

Muhammad bin Abdul-Rahman bin Abdullah Al-Bulaimi

Department of: Interpretation and Quranic Sciences, Faculty of Sharia [Islamic law] and Fundamentals of Religion, Najran University, Najran, Saudi Arabia

Email: maalblaymi@nu.edu.sa

Abstract

This research includes presentation and a statement of opinions of the commentators and their views in the explanation of the example of fire in the first quarter of surah Al-Baqarah, Allah says {Their likeness as the likeness of one who kindled a fire; then, when it illuminated all around him, Allah removed their light and left them in darkness. (so) they could not see'. They are deaf, dumb, and blind, so they return not (to the right path)}. Al-Baqarah: 17-18], and an explanation of the subtleties and secrets that it included. The research includes an introduction, a preface, and a chapter that includes five sections, then a conclusion. As for the introduction: it includes a statement of the importance of the topic, the reasons for choosing it, and the research and study plan. As for the preface: It is a talk about the definition of proverb in language and idiomatically, and the divisions of proverbs, and the benefits of multiplying proverbs in the Noble Qur'an, in addition to the importance of this fiery example. The second chapter, included sections that dealt with the overall meaning of the two verses, and the proverb, with a detailed explanation of the example of fire, its secrets, and its subtleties to the commentators.

Keywords: proverb, fire, Surat Al-Baqarah, interpretation, subtleties.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ آل عمران: ١٠٢

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ النساء: ١

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ الأحزاب: ٧٠ - ٧١

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار:

(إن أملأ العلوم بما يغمر القرائح وأنهضها بما يبهر الألباب القوارح من

غرائب نكت يلطف مسلكها ومستودعات أسرار يدق مسلكها علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم)[١] وإن مما لا يختلف عليه اثنان ولا ينتطح فيه عنزان عظمة وجلالة ما بينه علماء التفسير من معان آيات الكتاب العزيز ولطائفه وأسراره حتى أضحت كل آية من كتاب الله تكتب فيها المجلدات العظام، وكان من جملة هذه الآيات الباهرات والتشبيهات اللطيفات ما ذكره الله عز وجل في كتابه في أول سورة البقرة مثالاً للمنافقين، مما يعرف عند أهل العلم بالمثل الناري[٢]، وهذا المثل باب عظيم رحب وميدانه واسع خصب، لا تنتهي لطائفه ولا تنقضي معانيه ولا تنفد عجائبه، فأحببت أن أقف في هذا البحث وقفات أبين فيها بعض ما ذكره أهل التفسير من أسرار هذا المثل ولطائفه وخوافي معانيه.

وسميته بـ (أسرار المثل الناري في أول سورة البقرة ولطائفه عند المفسرين) وقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع أسباب منها:

أولاً: الوقوف والتأمل في آيات هذا الكتاب الكريم وبيان بعض أسرار كلام الباري جل وعلا ولطائف هذا المثل البديع من خلال كلام المفسرين وفرسان المعاني التفسيرية.

ثانياً: المساهمة بهذا البحث في خدمة كتاب الله جل وعلا ببيان المعان والأسرار واللطائف لآيتين من آيات هذا الكتاب العزيز.

---

(١) الكشاف (١ / ٤٢)

(٢) اطلق عليه ابن القيم هذا الاسم في كتابه (اجتماع الجيوش الإسلامية) (ص٧٢)

حدود البحث:

أسرار ولطائف قوله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ البقرة: ١٧ - ١٨ من كلام أهل التفسير.

منهج البحث:

اعتمدت في كتابة هذا البحث على نوعين من المناهج، المنهج الاستقرائي التتبعي، والمنهج التحليلي.

أما المنهج الاستقرائي التتبعي: فيتمثل في تتبع أقوال المفسرين وأهل المعاني التفسيرية، والتشبيه الوارد في الآية الكريمة.

وأما المنهج التحليلي: فيتمثل في شرح هذه الأقوال وتفسيرها، وبيان معاني بعضها حسب ما تقتضيه الحاجة مع التعليق عليها والترجيح بينها بما يظهر وجه الصواب.

الدراسات السابقة

لم أقف على دراسة مستقلة قامت بدراسة هذا المثل على هذا النحو الوارد في هذا البحث ولكن وقفت على بعض الكتابات التي تحدث أصحابها في رسائلهم عن هذا المثل ومن ذلك:

١- أسرار التنوع في تشبيهات القرآن الكريم للكاتبة (ملك حسن بخش)

٢- هدايات الأمثال القرآنية لمؤلفه (د. فخر الدين ابن الزبير المحسي)

٣- الأمثال في القرآن لمؤلفه (محمد علي قطب)

٤- الأمثال في القرآن تصوير المعقول وتقريب المعدوم ـ مقال بجريدة البيان المغربية بتاريخ ٢٠١٤/٠٧/٢٦م

٥- الأمثال في القرآن الكريم دراسة مبسطة حول الأمثال الواردة في الكتاب العزيز للعلامة المحقق جعفر السبحاني.

٦- الحكم والأمثال في القرآن ـ تأليف: سلمى الشمري عام ٢٠٢٠م.

٧- الأمثال الكامنة في القرآن الكريم لمؤلفه: الحسين بن الفضل تحقيق د. علي حسين البواب ط مكتبة التوبة ٢٠١١م.

٨- عون الحنان في شرح الأمثال في القرآن لمؤلفه: علي احمد عبد العال الطهطاوي ط دار الكتاب العلمية بيروت ٢٠٠٤م. وغير ذلك.

خطة البحث

هذا البحث فيه عرض وبيان لآراء المفسرين وأقوالهم في بيان هذا المثل الناري في أوائل سورة البقرة في الآية (١٧-١٨) وبيان اللطائف والأسرار التي اشتملت عليه، ويتكون البحث من مقدمة وتمهيد وفيه أربعة مباحث وفصل واحد يشتمل على خمسة مباحث وخاتمة.

أما المقدمة: فيتعرض فيها الباحث لبيان أهمية الموضوع، وخطة البحث والدراسة.

وأما التمهيد: فيه أربعة مباحث وتشتمل على تعريف المثل لغة واصطلاحا وأقسام الأمثال وفوائد ضرب الأمثال في القرآن الكريم إضافة إلى أهمية هذا المثل الناري.

وأما الفصل فهو يشتمل على خمسة مباحث وفيها بيان معنى المثل إجمالا مع بيان جمل المثل الناري وأسراره ولطائفه عند المفسرين بالتفصيل.

وأما الخاتمة: فتشتمل على نتائج البحث.

تمهيد

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد:

إن ضرب الأمثال أسلوب بديع من الأساليب القرآنية البليغة، وهي كذلك وسيلة دعوية ما تعة فريدة وتربوية وسيعة، فلذلك تنوعت وتعددت في القرآن الكريم، وما دعوة القرآن بالتفكير في هذه الأمثال والتدبر فيها إلا لما تحوي من الدرر والكنوز والعبر والعظات بين خوافيها، ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ العنكبوت (٤٣) ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ الحشر (٢١)

والمقصود من ضرب الأمثال تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد، فيتأكد الوقوف على ماهيته، ويصير الحس مطابقا للعقل وذلك في نهاية الإيضاح، ألا ترى أن الترغيب إذا وقع في الإيمان مجردا عن ضرب مثل له لم يتأكد وقوعه في القلب كما يتأكد وقوعه إذا مثل بالنور،

وإذا زهد في الكفر بمجرد الذكر لم يتأكد قبحه في العقول كما يتأكد إذا مثل بالظلمة، وإذا أخبر بضعف أمر من الأمور وضرب مثله بنسج العنكبوت كان ذلك أبلغ في تقرير صورته من الإخبار بضعفه مجردا، ولهذا أكثر الله تعالى في كتابه المبين.[1]

ولما كان هذا المثل الناري من أوائل الأمثال الواردة في القرءان وهو المذكور في قوله تعالى: {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا

(١) التفسير الكبير (٣١٢/٢) والبرهان في علوم القرآن (٤٨٨/١)

حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (١٧) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (١٨)، لهذا أردت الوقوف معه لبيان بعض معانيه واستخراج أسراره البلاغية عند المفسرين واستنباط الهدايات التي يرشد إليها. ويجمل قبل الشروع في ذلك أن يكون هناك تمهيد فيه بيان معنى المثل وذكر طرف مما يتعلق ببعض المسائل حول الأمثال القرآنية.

المبحث الأول

تعريف المثل لغة واصطلاحا.

المثل لغة: مأخوذ من النظير والمساوي والصفة والعبرة وما يجعل مثالاً لغيره.[١]

وقال الفيروز آبادي: المثل بالكسر والتحريك الشبه، والجمع أمثال، والمثل محركة الحجة، والصفة، والمثال، المقدار والقصاص إلى غيره من المعاني.[٢]

قال الراغب: والمثل يقال على وجهيين:

أ- بمعنى المثل نحو: شبه وشبه، ونقض ونقض، قال بعضهم وقد يعبر بهما عن وصف الشئ، نحو قوله تَعَالَىٰ: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ سورة محمد (١٥)

ب- عبارة عن المشابهة لغيره في معنى من المعاني أي معنى كان.[٣]

المثل اصطلاحاً: ذكر الزمخشري المعاني الاصطلاحية الثلاثة للمثل فقال:

والمثل في أصل كلامهم بمعنى: المثل والنظير (وهذا هو أصل المعنى اللغوي، ولا يستقيم حمل أمثال القرآن على هذا المعنى) المعنى الأول،

---

(١) انظر لسان العرب مادة (مثل) (١٣٢٢)

(٢) القاموس المحيط مادة (مثل) (٤٤٩)

(٣) مفردات القرآن (٧٥٩)

ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل: ولم يضربوا مثلاً ولا رأوه أهلا للتسيير ولا جديراً بالتداول والقبول إلا قولاً فيه غرابة من بعض الوجوه) (ولا يستقيم حمل الأمثال في القرآن على ذلك أيضاً إذ ليست هي أقوالاً استعملت على وجه تشبيه مضربها بموردها) وهذا المعنى الثاني.

ثم قال: وقد استعير المثل للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة.

وهذا المعنى الثالث.[1]

أما المعنى الرابع: فهو ما يذكره البيانيون وهو: المجاز المركب الذي تكون علاقته المشابهة وفشا استعماله أو ما يسمى بـ(الاستعارة التمثيلة) وهذا كذلك لا يصلح أن تحمل أمثال القرآن عليه، فان من أمثال القرآن ما ليس باستعارة ولم يفش استعماله.

والأليق هو: تشبيه شيء بشيء في حكمه وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر واعتبار أحدهما بالآخر[2]

(١) انظر الكشاف (١ /١٠٩)

(٢) انظر الأمثال لابن القيم، ص (٩) .

المبحث الثاني

أقسام الأمثال

تنقسم الأمثال القرآنية إلى أقسام: -

١) **المثل الموجز**: وهو كلام موجز شاع وانتشر وكثر دورانه على الألسنة في مواطن متعددة، وقد كثر هذا النوع في كلام العرب فمن ذلك (رجع بخفي حنين)[١] ومنه (كالمستجير من الرمضاء بالنار)[٢] وهو مذكور في أحاديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومنه (إنما الصبر عند الصدمة الأولى)[٣] ومنه (إذا لم تستح فاصنع ما شئت)[٤] ومن هذا النوع في القرآن الكريم كثير، فمنه قوله تعالى (وأتوا البيوت من أبوابها) سورة البقرة (١٨٩) ومنه (وكفى الله المؤمنين القتال) سورة الأحزاب (٢٥) وغير ذلك فهي آيات وردت في القرآن الكريم لمعنى معين، بيد أنها تستخدم في مواطن متعددة.

وهذه الأمثال الموجزة هي عمومات من الألفاظ والجمل تنزل على بعض الأحداث والوقائع.[٥]

(١) انظر الامثال لابن سلام (١/٢٤٥) ومجمع الامثال (١/٢٩٦)

(٢) انظر الامثال (١/٢٦٣) ومجمع الامثال (٢/١٤٩)

(٣) رواه البخاري في صحيحه تحت باب الصبر عند الصدمة الأولى برقم (١٣٠١) (١٣٠٢) ومسلم في صحيحه تحت باب في الصبر على المصيبة عند أول الصدمة برقم (٩٢٦)

(٤) رواه البخاري باب إذا لم تستحي فاصنع ما شئت برقم (٦١٢)

(٥) وقد جمع بعض المعاصرين منها نحو (٧٠٠) مثل صاحب كتاب (الأمثال العربية، دراسة تاريخية تحليلية) (د. عبد المجيد قطامش) صـ ١٣٠ ـــ وكتاب (الأمثال القرآنية القياسية =

٢) **المثل الخرافي**: وهو عبارة عن حكايات خيالية على ألسنة المخلوقات الطبيعية من حيوانات أو أشجار أو جمادات يقصد بها تعليم أو اعتبار بما فيها أو التندر والفكاهة، كقولهم (أكلت يوم أكل الثور الأبيض)[١] وهذا لا يقع في القرآن الكريم إذ لا خيال في القرآن بل هو صدق وحق، وهذه الأمثال هي أسلوب أدبي قصصي عند العرب، كما في كتاب (كليلة ودمنة) لابن المقفع.

٣) **المثل القياسي**: هذا المثل فيه تشبيه صورة بصورة وسمي قياسياً لأنه يدخل في القياس من جهة أن فيه تعدية وتشبيها، كما أنه يدخل في الأساليب البلاغية من جهة الاستعارات والتشبيهات. قال ابن القيم مبينا ذلك: (ضرب الأمثال وصرفها في الأنواع المختلفة، وكلها أقيسة عقلية ينبه بها عباده على أن حكم الشيء حكم مثله، فان الأمثال كلها قياسات يعلم منها حكم الممثل من الممثل به. وقد اشتمل القرآن على بضعه وأربعين مثلاً تتضمن تشبيه الشيء بنظيره والتسوية بينهما في الحكم)[٢]

وهذا المثل القياسي على نوعين:

أ- أمثال قصصية: وفيها بيان من قصص الأمم الماضين وتذكر للعظة والاعتبار من خلال أوجه الشبه بينها و بين غيرها، ومن ذلك قوله

المضروبة للإيمان بالله) للجربوع (١ / ٤٧)

(١) انظر الامثال (١/١٨٤) ومجمع الامثال (١/٢٥)

(٢) إعلام الموقعين (١/١٠١)

تعالى ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖ﴾ التحريم (١٠)[١]

ب- الأمثال الطبيعية: وفيها تشبيه الغائب بالشاهد وغير المحسوس بالمحسوس، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ ﴾ يونس (٢٤). قال أبو السعود العمادي مقررا ذلك: (فان التمثيل ألطف ذريعة إلى تسخير الوهم للعقل، واستنزاله من مقام الاستقصاء عليه وأقوى وسيلة إلى تفهيم الجاهل الغبي وقمع سورة الجامح الآبي، كيف لا وهو رفع الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية وإبراز لها في معرض المحسوسات الجلية)[٢]

ومنهم من جعل الأمثال القرآنية منقسمة إلى ثلاثة أقسام[٣] بيانها فيما يلي:

النوع الأول: الأمثال المصرحة: وهي ما صرح فيها بلفظ المثل، أو ما يفيد معناه مما يدل على التشبيه، وهذا النوع له أمثلة في القرآن الكريم كثيرة منها: ما ورد في سورة البقرة في شأن المنافقين من قول الله تعالى: (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً ،،،، الآيات)

---

(١) انظر الاتقان في علوم القرآن (٢ / ١٠٤١) للسيوطي

(٢) إرشاد العقل السليم (١ / ٦٩) .

(٣) انظر الإتقان في علوم القرآن (٤/ ٤٦)، و دراسات في علوم القرآن - محمد بكر إسماعيل (٣٠٠)، و نفحات من علوم القرآن (١١٠) .

النوع الثاني: الأمثال الكامنة: وهي التي لم يصرح فيها بلفظ المثل، ولكنها تدل على معان رائعة في إيجاز يكون لها وقعها إذا نقلت إلى ما يشبهها، على أنها تذكر بمعانيها لا بألفاظها، فالتمثيل فيها كامن غير ظاهر. ويمثلون لهذا النوع بأمثلة منها:

١- ما في معنى قولهم: "ليس الخبر كالمعاينة": قوله تعالى في إبراهيم عليه السلام: {قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي} سورة البقرة (٢٦٠).

٢- ما في معنى قولهم: "كما تدين تُدان": قوله تعالى: {مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ} سورة النساء (١٢٣).

النوع الثالث: الأمثال المرسلة: وهي جمل أرسلت إرسالا من غير تصريح بلفظ التشبيه، وقد اكتسبت صفة المثلية بعد نزول القرآن الكريم وشيوعها بين المسلمين، ولم تكن أمثالاً في وقت نزوله، وهي في جملتها مبادئ خلقية ودينية موجزة مركزة، وهذا النوع من قبيل التشبيهات الضمنية التي تؤكد المعاني وتبرزها إبرازاً يجعلها متميزة في النفس أكمل تمييز، أو هي من قبيل الكنايات التي تأتي بالمعني مصحوباً بدليله، فتجري مجري الحكم.

وهذا النوع أمثلته في القرآن الكريم كثيرة جداً سوف نذكر مثالاً واحداً، فمن هذه الأمثال:

قول الله تعالى: { ليس لَهَا مِن دُونِ اللهِ كَاشِفَةٌ } (النجم: ٥٨) يضرب لتعاظم الشدائد، وتفارط الخطوب والتصريح بالعجز في مواجهتها واللجوء إلى الله تعالى وحده لكشفها.

المبحث الثالث

فوائد ضرب الأمثال في القرآن الكريم

"اعلم أنّ مما اتّفق العقلاء عليه انّ التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو أُبرزت هي باختصار في معرضه، ونُقلت عن صورها الاَصلية إلى صورته كساها أُبّهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشبّ من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار من أقاصى الأفئدة صبابة وكلفاً، وقسر الطّباع على أن تُعطيها محبة وشغفاً.

- فإن كان ذمّاً: كان مسه أوجع، وميسمه ألذع، ووقعه أشدّ، وحدّه أحد.
- وإن كان حجاجاً: كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر.
- وإن كان افتخاراً: كان شأوه أمدّ، وشرفه أجد ولسانه ألد.
- وإن كان اعتذاراً: كان إلى القبول أقرب، وللقلوب أخلب، وللسخائم أسلّ، ولغَرْب الغضب أفلّ، وفي عُقد العقود أنفث، وحسن الرجوع أبعث.
- وإن كان وعظاً: كان أشفى للصدر، وأدعى إلى الفكر، وأبلغ في التنبيه والزجر، وأجدر أن يجلى الغياية ويُبصّر الغاية، ويبريَ العليل، ويشفي الغليل."[1]

وجماع ذلك في جملة ما ذكره محمد رشيد رضا بقوله: (التمثيل أمثل

(١) انظر أسرار البلاغة صـ ١٠١ - ١٠٢ - عبد القاهر الجرجاني

أساليب البلاغة وأشدها تأثيراً في النفس وإقناعاً للعقل)[1]

ولقد بين الله عز وجل أن فهم حقيقة الأمثال وتعقل دقائق المعاني التي فيها واستخراج درر خوافيها إنما هو مدخر لأولى الألباب وخصيصة لهم،

قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ العنكبوت (٤٣) إضافة إلى ذلك.

١) إحضار الذهن وعدم شروده ودفع السآمة والملل بما في المثل من اختصار العبارات وإيجاز البلاغات والألفاظ فتثير به العقل ويستقر في سويداء القلب.

٢) تبين المعنى المراد، وتوضيح الهدف المنشود من ضرب المثل بأوضح دلالة وأيسر عبارة، فيفهم المثل ووجهه والغاية منه، ويحصل الاعتبار به بأيسر سبيل.

٣) قوة المثل البلاغية وحسن التشبيه، فهو طريق للهداية القرآنية آخر وحوار يجدد الحجة وسلطانها على القلب.

٤) تسلية النفس البشرية وترغيبها، بالتدبر والتفكر والمتفهم لهذا الكتاب الكريم، إذ من طبعها السامة والملل فتسرع الأسماع لهذه الأمثال وتروق لها وتجذب لها الأفئدة، فتنقاد لهذا الحق ويسرع القبول، ويحصل المقصود، من التدبر والتفكر المؤدي لصلاح القلب واستقامته.

---

(١) تفسير المنار (١ / ١٤١) محمد رشيد رضا

٥) هداية الناس إلى الحق والصراط المستقيم، وهذا هو الهدف الأساس لها، وغرس التوحيد في نفوس العامة وإبطال الشرك وما يتبعه من باطل وكفر ونفاق، ولعل هذا يقودنا إلى الآيات المكية والأمثال التي وردت فيها، والآيات المدنية والأمثال التي وردت فيها.

ومن المعلوم أن الآيات المكية تميزت بمجادلة المشركين وإبطال صور الشرك وما كانوا عليه من تعظيم الآلهة المزعومة باطلاً وتقرير التوحيد وإخلاص العبادة لله والوعيد لمن خالف ذلك، وإثبات البعث والمعاد والجزاء وحشر الناس وجمعهم ليوم القيامة وهذا ما تميزت به الأمثال الواردة في الآيات المكية.

أما الأمثال المدنية، فهي تتميز بما تميزت به الآيات المدنية، من تهذيب الأخلاق للمجتمع المدني المسلم وعلاج أدواء النفوس وبيان عورها والتحذير منها كالنفاق وما يتكلم به أهل الكتاب من الباطل والشبه المنحرفة، والرد عليهم، بأقصر طريق وأوجز عبارة، وتحسين السلوك للفرد المسلم وإبراز الفضائل والترغيب فيها، وتقبيح الرذائل والتنفير منها.

فالأمثال القرآنية تتنوع بحسب التقسيمات السابقة، لتتعانق في تحقيق الهداية لكل من عقلها وتأملها.[1]

ويمكن تلخيص ذلك وجمعه فيما ذكره "الزركشي" حيث قال: "ضَرْبُ اللهِ الأمثالَ في القرآنِ يُستفاد منه أمور كثيرة: التذكير، والوعظ، والحث،

(١) انظر الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية، الفريق العلمي بكرسي الملك عبد الله (١ / ٣٣-٣٤٣)

والزجر، والاعتبار، والتقرير، وترتيب المراد للعقل، وتصويره في صورةِ المحسوس؛ بحيث يكون نسبتُه للفعل كنسبةِ المحسوس إلى الحس، وتأتي أمثالُ القرآنِ مشتملة على بيانِ تفاوتِ الأجر، وعلى المدح والذم، وعلى الثوابِ والعقاب، وعلى تفخيمِ الأمر أو تحقيره، وعلى تحقيق أمر أو إبطال أمر"[1]

والمثل محل الدراسة يحقق جملة من هذه الفوائد، وقد بين الزمخشري ذلك بقوله: (لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميما للبيان. ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر- شأن ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني، ورفع الأستار عن الحقائق، حتى تريك المتخيل في صورة المحقق، والمتوهم في معرض المتيقن، والغائب كأنه مشاهد. وفيه تبكيت للخصم الألد، وقمع لسورة الجامح الأبىّ، ولأمر مّا أكثر الله في كتابه المبين وفي سائر كتبه أمثاله، وفشت في كلام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكلام الأنبياء والحكماء).[2]

(١) البرهان في علوم القرآن"، جـ ١ ص ٤٨٦، تحقيق محمد أبو الفضل، ط القاهرة ١٩٥٧م.

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ٧٢)

المبحث الرابع

أهمية هذا المثل الناري

لهذا المثل أهمية عظيمة في بيان المعنى وتجليته، وزجر المتصفين بالنفاق عن هذا الفعل، وهذه الأهمية عبر عنها المفسرون بعبارات مختلفة. قال أبو السعود العمادي معتبرا هذا المثل: (من زيادة كشف أحوال المنافقين وتصوير غب تصويرها بصورة ما يؤدي إلى الخسار بحسب المآل بصورة ما يفضي إلى الخسار من حيث النفس تهويلاً لها وإبانة لفظاعتها).[١]

وعبارة البقاعي هي: (ولما ذكر الله أحوال المنافقين بعد ذكر المؤمنين والكافرين وأوضح ما هم عليه من الافساد والضلال والخداع ومصاحبة اليهود ومطاوعتهم واستبدال الضلال بالهدى، فلما أظهر ذلك كله وكانت الأمثال ألصق بالبال وأكشف للأحوال مثل حالهم في هداهم الذي باعوه بالضلالة بالأمور المحسوسة، لأن للتمثيل بها شاناً عظيماً في إيصال المعاني حتى إلى الأذهان الجامدة وتقريرها)[٢]

قال الرازي مبينا ذلك: (والمقصود من الأمثال أنها تؤثر في القلوب مالا يؤثره وصف الشيء في نفسه ..... فهو سبحانه لما تبين حقيقة صفات المنافقين عقبها بضرب مثلين زيادة في الكشف والبيان).[٣]

وبنحو ما مر جاءت عبارة ابن عاشور حيث قال: (وهذه الآيات أعقبت

(١) إرشاد العقل السليم (١ / ٦٩)

(٢) نظم الدرر البقاعي (١ / ٨٣)

(٣) التفسير الكبير (١ / ٧٣)

تفاصيل صفاتهم بتصوير مجموعها في صورة واحدة، بتشبيه حالهم بهيئة محسوسة وهذه طريقة تشبيه التمثيل، إلحاقاً لتلك الأحوال المعقولة بالأشياء المحسوسة، لأن النفس إلى المحسوس أميل.

وإتماماً للبيان يجمع المتفرقات في السمع، المطالة في اللفظ في صورة واحدة لأن للاجمال بعد التفصيل وقعاً من نفوس السامعين وتقريراً لجميع ما تقدم في الذهن بصورة تخالف ما صور سالفاً لأن تجدد الصورة عند النفس أحب من تكررها.

واستدلالاً على ما يتضمنه مجموع تلك الصفات من سوء الحالة وخيبة السعي وفساد العاقبة، وتقريباً لما في أحوالهم الدينية من التضاد والتخالف بين ظاهر جميل وباطن قبيح بصفة حال عجيبة من أحوال العالم فجملة (مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً) واقعة من الجمل الماضية قبلها كمال الاتصال فلذلك فصلت ولم تعطف).[1]

(١) التحرير والتنوير (١ / ٣٠٢)

الفصل الأول

بيان معنى قوله تعالى:

﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ البقرة: ١٧ - ١٨

وفيه مباحث:

المبحث الأول

بيان المعنى الاجمالي للمثل الناري

في هذه الآيات ضرب الله للمنافقين مثلًا ناريًّا في قوله: {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً} لما في النار من مادة النور،، وقد نزل الوحي من السماء متضمنًا لاستنارة القلوب وإضاءتها،. وذكر الله حظ المنافقين من هذا النور. فهم بمنزلة من استوقد نارًا للإضاءة والنفع حيث انتفعوا ماديًّا بالدخول في الإسلام، ولكن لم يكن له أثر نوري في قلوبهم، فذهب الله به في النار من الإضاءة: {ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ} وأبقى ما فيها من الإحراق، وهذا مثلهم الناري.

وعبارة العثيمين في إجمال معنى هذا المثل هي: (هذا المثل من أمثال التمثيل، وهو كمثل رجل احتاج إلى نار يستدفئ بها ويستنير بها، ولكن ليس معه ما يستنير به فاستوقد ناراً من شخص أي: طلب منه أن يوقد له ناراً فأوقد له النار فلما تبين ضوءها من الشعلة طفئت الشعلة، وبقي في ظلمة بعد أن كان في نور، وبقيت حرارة النار التي قد يكون فيها ضرر، ولهذا قال (ذهب

الله بنورهم) ولم يقل بنارهم، أي: بقيت النار بحرارتها، وذهب النور المستفاد من الشعلة التي انطفأت، وبقوا في ظلمات لا يبصرون

وإنما كانوا في ظلمات، لأن انطفاء النور بعد وجوده يحدث الظلمة ولا سيما عند انطفائه في أول وهلة، هؤلاء المنافقون ليس عندهم نور في قلوبهم، إنما يستفيدون ما يستفيدونه من النور من بعض المؤمنين من أقاربهم أو جيرانهم فيستضيئون به لحظة، ولكنهم يعودون إلى أصلهم من الظلمة والضلالة، يستضيئون به لحظة ثم ينطفئ، فيبقى ذلك حرارة في قلوبهم، لأنهم ليس لهم نور يهتدون به، ثم قال (صم بكم عمي فهم لا يرجعون) (صم) يعني: لا يسمعون الهدى (بكم) لا ينطقون به (عمي) لا يبصرونه، فنفي عنهم طرق الهداية كلها.

وقوله (فهم لا يرجعون) هذا حال المنافق لا ينطق بالحق ولا يستمع إليه، ولا ينتفع به لو سمعه، ولا يبصره وإن أبصره لا ينفع به، فهو بمنزلة الأعمى.[1]

وقوله: {مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا} شبه من أتاه الله ضربًا من الهدى والمعونة فأضاعه ولم يتوصل به إلى ما رشح له من نعيم الأبد من استوقد نارًا في ظلمة. فلما أضاءت له ضيعها ونكس فعاد في ظلمته التي كان فيها.[2]

فهذا إجمال بيان معنى المثل الناري وأما تفاصيل ذلك فتأتيك في

(١) أحكام القرآن الكريم (١ / ٧٢) ابن عثيمين

(٢) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (٦٩/٤)

المباحث القادمة في مطالب أصلها ما ذكره الإمام الرازي وأزيد عليها من أقوال المفسرين ما تقتضيه طبيعة البحث ولوازمه.

المبحث الثاني

قوله تعالى (مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً)

وفيه مطالب:

المطلب الأول

فيه أنه يقتضي تشبيه مثلهم بمثل المستوقد، فما مثل المنافقين ومثل المستوقد حتى شبه أحدهما بالآخر ؟

والجواب: استعير المثل للقصة أو للصفة إذا كان لها شأن وفيها غرابة كأنه قيل: قصتهم العجيبة كقصة الذي استوقد ناراً.

فان قيل: كيف مثلت الجماعة (مثلهم) بالواحد (كمثل الذي استوقد ناراً) والجواب من أوجه:

١- يجوز في اللغة وضع (الذي) موضع (الذين) كقوله تعالى (وخضتم كالذي خاضوا) وإنما جاز ذلك لأن (الذي) لكونه وصلة إلى وصف كل معرفة بجملة وكثرة وقومه في كلامهم، ولكونه مستطالاً بصلته فهو حقيق بالتخفيف، ولذلك أعلوه بالحذف فحذفوا ياء ثم كسرته ثم اقتصروا فيه على اللام وحدها في أسماء الفاعلين والمفعولين.

وهذا الكلام وضحه أبو السعود[1] بقوله: (وإنما جاز ذلك مع عدم جواز

(١) النحوي، اللغوي، المفسر: محمد بن محمد بن مصطفى، أبو السعود العمادي الحنفي، ولد: سنة (٨٩٨هـ) وفاته: سنة (٩٨٢هـ) انظر الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة تفسير والإقراء والنحو واللغة صفحة (٢٤١٨)

وضع القائم مقام القائمين لأن المقصود بالوصف هي الجملة الواقعة صلة له دون نفسه بل إنما هو وصلة لوصف المعارف بها ولأنه حقيق بالتخفيف لاستطالته بصلته ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في أسماء الفاعلين والمفعولين ولأنه ليس باسم تام بل هو كجزئه فحقه ان لا يجمع ويستوي فيه الواحد والمتعدد كما هو شأن أخواته وليس الذين جمعه المصحح بل النون فيه مزيدة للدلالة على زيادة المعنى ولذلك جاء بالياء أبدا على اللغة الفصيحة)[١]

وقريب من هذا الجواب ما ذكره الزمخشري[٢] حيث قال: (أن جمع (الذي) ليس بمنزلة جمع غيره بالواو والنون. وإنما ذاك علامة لزيادة الدلالة. ألا ترى أن سائر الموصولات لفظ الجمع، والواحد فيهن واحد).[٣]

وقد تعقب الطبري هذا القول بقوله: (وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة: أن"الذي" في قوله: "كمثل الذي استوقد نارا" بمعنى الذين، كما قال جل ثناؤه: (والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون) [سورة الزمر: ٣٣]، وكما قال الشاعر:

فإن الذي حانت بفلج دماؤهم *** هم القوم كل القوم يا أم خالد[٤]

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (١/ ٥٠)

(٢) النحوي، اللغوي، المفسر: محمود بن عمر بن محمد بن أحمد، أبو القاسم، الخوارزمي، الزمخشري، جار الله. ولد سنة (٤٦٧هـ)، وفاته سنة (٥٣٨هـ) انظر الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والاقراء والنحو واللغة صفحة (٢٦١٨)

(٣) انظر الكشاف (١/ ٧٣) بتصرف

(٤) انظر الحماسة البصرية جزء (٢٦٩/١) وسمط اللآلي في شرح أمالي القالي (٣٥/١)

قال أبو جعفر[1]: وقد أغفل قائل ذلك فرق ما بين "الذي" في الآيتين وفي البيت. لأن "الذي" في قوله: "والذي جاء بالصدق"، قد جاءت الدلالة على أن معناها الجمع، وهو قوله: (أولئك هم المتقون)، وكذلك "الذي" في البيت، وهو قوله "دماؤهم". وليست هذه الدلالة في قوله: "كمثل الذي استوقد نارا". فذلك فرق ما بين "الذي" في قوله: "كمثل الذي استوقد نارا"، وسائر شواهده التي استشهد بها على أن معنى "الذي" في قوله: "كمثل الذي استوقد نارا" بمعنى الجماع. وغير جائز لأحد نقل الكلمة - التي هي الأغلب في استعمال العرب على معنى - إلى غيره، إلا بحجة يجب التسليم لها.[2]

٢- أن يكون المراد جنس المستوقدين أو أريد الجمع أو الفوج الذي استوقد ناراً.

٣- أن المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد، وإنما شبهت قصتهم بقصة المستوقد، ومثله قوله تعالى ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ ﴾ الجمعة (٥) وقوله تعالى ﴿ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِ﴾ محمد (٢٠)

قال أبو حيان[3] موضحا ذلك: التشبيه وقع بين قصة وقصة، فلا يحتاج

(١) المفسر، المقرئ: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر الطبري، ولد: سنة (٢٢٤هـ) وفاته: سنة (٣١٠) انظر الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة تفسير والإقراء والنحو واللغة صفحة (٢٠٠٧)

(٢) جامع البيان ت شاكر (١/ ٣٢٠)

(٣) النحوي، اللغوي، المفسر، المقرئ: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان =

في نحو هذا التشبيه إلى مقابلة جماعة بجماعة ألا ترى إلى قوله تعالى: مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا «١»، وعلى أنه في قوله: كمثل الذي استوقد نارا، هو من قبيل المقابلة أيضا؟ ألا ترى أن المعنى هو كمثل الجمع؟ أو الفوج الذي استوقد، فهو من المفرد اللفظ المجموع المعنى. على أن من المفسرين من تخيل أنه مفرد ورام مقابلة الجمع بالجمع، فادعى أن ذلك هو على حذف مضاف التقدير، كمثل أصحاب الذي استوقد، ولا حاجة إلى هذا الذي قدره لأنه لو فرضناه مفردا لفظا ومعنى لما احتيج إلى ذلك، لأن التشبيه إنما جرى في قصة بقصة، وإذا كان كذلك فلا تشترط المقابلة، كما قدمنا،[1]

قلت: وهذا يصح جوابا على جميع الإيرادات التي ستأتي على هذا التشبيه

٤- أن المعنى: ومثل كل واحد منهم، كقوله تعالى: ﴿ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ غافر (٧٦) أي يخرج كل واحد منكم

٥- ضرب المثل- والله أعلم- للفعل لا لاعيان الرجال، وإنما هو مَثَل للنفاق فقال: مثلهم كمثل الذي استوقد نارا ولم يقل: الذين استوقدوا. وهو كما قال الله: «تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ». وقوله: «مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ واحِدَةٍ» فالمعنى- والله أعلم:

الغرناطي الأندلسي،أثير الدين ' الجياني النفزي، ولد: سنة (٦٥٤هـ) انظر الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة تفسير والإقراء والنحو واللغة صفحة (٢٥٠١)

(١) البحر المحيط في التفسير (١/ ١٢٧) .

إلا كبعث نفس واحدة ولو كان التشبيه للرجال لكان مجموعا كما قال: «كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ» أراد الْقِيمَ والأجسام، وقال: «كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ خاوِيَةٍ فكان مجموعا إذ أراد تشبيه أعيان الرجال فأجْر الكلام على هذا. وإن جاءك تشبيه جمع الرجال موحّدا فى شعر فأجْر الكلام على هذا. وإن جاءك تشبيه جمع الرجال موحَّدا في شعر فأجِزْه. وإن جاءك التشبيه للواحد مجموعا في شعر فهو أيضا يراد به الفعل فأجزه كقولك: ما فِعْلك إلا كفعل الحَمِير، وما أفعالكم إلا كفعل الذِّئب فابنِ على هذا، ثم تُلْقِي الفعلَ فتقول: ما فعلك إلا كالحَميرِ وكالذئب).[1]

٦- أن «المَثَل والمِثْل والمَثِيل» واحد، معناه الشبه، هكذا نص أهل اللغة والمتماثلان المتشابهان، وقد يكون مثل الشيء جرما مثله، وقد يكون ما تعقل النفس وتتوهمه من الشيء مثلا له، فقوله تعالى: (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ) معناه أن الذي يتحصل في نفس الناظر في أمرهم كمثل الذي يتحصل في نفس الناظر في أمر المستوقد،[2]

فان قيل: ما وجه التمثيل بمن أعطي نوراً ثم سلب ذلك النور منه مع أن المنافق ليس له نور.

---

(١) ذكره الفراء في معاني القرآن (١٥/١) الفراء: النحوي، اللغوي، المفسر: يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسدي، مولاهم الكوفي، أبو زكريا الفراء، وفاته: سنة (٢٠٧هـ) انظر الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة تفسير والإقراء والنحو واللغة صفحة (٢٨٨٨)

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٩٨)

فالجواب: وجهه كما قال السُّدِّي[١]: إن ناساً دخلوا في الاسلام عند وصوله عليه الصلاة والسلام إلى المدينة، ثم إنهم نافقوا بعد ذلك فتحصل من ذلك أن وجه التمثيل في نهاية الصحة، لأنهم بايمانهم أولاً اكتسبوا النور وحصلوه، ثم لما نافقوا ثانياً أبطلوا ذلك النور ووقعوا في حيرة عظيمة، هذا الوجه إذا قلنا أنهم آمنوا حقاً وصدقاً في أول الأمر.

وجواب آخر: وهو أنهم لما أظهروا الاسلام فقد ظفروا بتحصن دمائهم وسلامة أموالهم عن الغنيمة وأولادهم عن السبي وظفروا بغنائم الجهاد وسائر أحكام المسلمين، وعد ذلك نوراً من أنوار الايمان ولما كان ذلك بالاضافة إلى العذاب الدائم قليلاً قدره شبههم بمستوقد النار الذي انتفع بضوئها قليلاً ثم سلب ذلك، فدامت حيرته وحسرته للظلمة التي جاءته في أعقاب النور، فكان يسير انتفاعهم في الدنيا يشبه النور، وعظيم ضررهم في الآخرة يشبه الظلمة، ذكر هذا الحسن رحمه الله[٢]، وهذا الوجه على أنهم لم يدخلوا في الايمان أصلاً، فهو بخلاف الذي قبله عن السدي[٣].

وجواب آخر: ليس التشبيه أن للمنافق نوراً بل وجه التشبيه بهذا

---

(١) المفسر: اسماعيل بن عبد الرحمن بن ابي كريمة وقيل: ابن أبي ذؤيب السدي، أبو محمد الحجازي ثم الكوفي الأعور، المشهور بالسدي الكبير وفاته: سنة (١٢٨هـ) انظر الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة تفسير والإقراء والنحو واللغة صفحة (٤٩٧)

(٢) المفسر: الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد البصري، مولى زيد بن ثابت، ولد: سنة (٢١هـ) وفاته: سنة (١١٠هـ) انظر الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة تفسير والإقراء والنحو واللغة صفحة (٦٥٦)

(٣) سبقت ترجمته في الهامش الأول من هذه الصفحة.

المستوقد أنه لما زال النور عنه تحير، والتحير فيمن كان في نور ثم زال عنه أشد من تحير سالك الطريق في ظلمة مستمرة، لكنه تعالى ذكر النور في مستوقد النار لكي يصح أن يوصف بهذه الظلمة الشديدة لا وجه التشبيه مجمع النور والظلمة.[1]

وجواب آخر ذكره الطبري حيث قال: (فأما تمثيل الجماعة من المنافقين بالمستوقد الواحد، فإنما جاز، لأن المراد من الخبر عن مثل المنافقين، الخبر عن مثل استضاءتهم بما أظهروا بألسنتهم من الإقرار وهم لغيره مستبطنون - من اعتقاداتهم الرديئة، وخلطهم نفاقهم الباطن بالإقرار بالإيمان الظاهر. والاستضاءة - وإن اختلفت أشخاص أهلها - معنى واحد، لا معان مختلفة. فالمثل لها في معنى المثل للشخص الواحد، من الأشياء المختلفة الأشخاص.

وتأويل ذلك: مثل استضاءة المنافقين بما أظهروه من الإقرار بالله وبمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبما جاء به، قولا وهم به مكذبون اعتقادا، كمثل استضاءة الموقد نارا. ثم أسقط ذكر الاستضاءة، وأضيف المثل إليهم).[2]

ويجمع ذلك ما ذكره ابن عطية[3] حيث قال: (واختلف المتأولون في

(١) التفسير الكبير (١/٧٤) .

(٢) جامع البيان ت شاكر (١/ ٣١٨)

(٣) النحوي، اللغوي، المفسر: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن - وقيل عبد الملك - ابن غالب بن تمام بن عبد الرؤوف بن عبد الله بن تمام بن عطية المحاربي ولد: سنة (٤٨١هـ) انظر الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة تفسير والإقراء والنحو واللغة صفحة (١١٢١)

فعل المنافقين الذي يشبه فعل (الذي استوقد نارا).

فقالت طائفة: هي فيمن آمن ثم كفر بالنفاق، فإيمانه بمنزلة النار إذا أضاءت، وكفره بعد بمنزلة انطفائها وذهاب النور.

وقال الحسن بن أبي الحسن[١] وغيره: «إن ما يظهر المنافق في الدنيا من الإيمان فيحقن به دمه ويحرز ماله ويناكح ويخالط كالنار التي أضاءت ما حوله، فإذا مات صار إلى العذاب الأليم، فذلك بمنزلة انطفائها وبقائه في الظلمات».

وقالت فرقة: إن إقبال المنافقين إلى المسلمين وكلامهم معهم كالنار وانصرافهم إلى مردتهم وارتكاسهم عندهم كذهابها.

وقالت فرقة: إن المنافقين كانوا عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمؤمنين في منزلة بما أظهروه، فلما فضحهم الله وأعلم بنفاقهم سقطت المنزلة، فكان ذلك كله بمنزلة النار وانطفائها.

وقالت فرقة منهم قتادة: نطقهم ب «لا إله إلا الله» والقرآن كإضاءة النار، واعتقادهم الكفر بقلوبهم كانطفائها.)[٢]

(١) المفسر: الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد البصري، مولى زيد بن ثابت، ولد: سنة (٢١هـ) وفاته: سنة (١١٠هـ) انظر الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة تفسير والإقراء والنحو واللغة صفحة (٦٥٦)

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ١٠٠)

المطلب الثاني

ما المراد بقوله تعالى: (استوقد) ؟

هذا سؤال أجاب عليه مكي بن أبي طالب[1]: (قوله: {استوقد نَاراً}. أي استوقدها من غيره.

وقيل: معناه: أوقد، أي أوقدها هو، واستفعل في كلام العرب يأتي على وجهين:

- يكون بمعنى استدعى الفعل من غيره نحو قوله: {وَإِذِ استسقى موسى لِقَوْمِهِ} [البقرة: ٦٠]. أي استدعى أن يسقوا.
- ويكون بمعنى فعل، نحو قوله: {واستغنى الله} [التغابن: ٦] فلم يستدع غني من واحد، وبعده: {والله غَنِيٌّ} [التغابن: ٦] يدل على ذلك.[2]

وقد بين أبو حيان[3] الراجح فيه بقوله: (واستوقد: استفعل، وهي بمعنى أفعل. قيل: أوقد واستوقد بمعنى، ومثله أجاب واستجاب، وأخلف لأهله واستخلف أي خلف الماء، أو للطلب، جوز المفسرون فيها هذين الوجهين

---

(١) النحوي، المفسر، المقرئ: مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار الأندلسي القيسي، أبو محمد ولد: سنة (٣٥٥هـ) وفاته: سنة (٤٣٧هـ) انظر الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة تفسير والإقراء والنحو واللغة صفحة (٢٦٧٩)

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية (١/ ١٧٠) .

(٣) النحوي، اللغوي، المفسر، المقرئ: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الأندلسي، أثير الدين الجياني النفزي، ولد: سنة (٦٥٤هـ) انظر الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة تفسير والإقراء والنحو واللغة صفحة (٢٥٠١)

من غير ترجيح،

وكونها بمعنى أوقد، قول الأخفش[١]، وهو أرجح لأن جعلها للطلب يقتضي حذف جملة حتى يصح المعنى، وجعلها بمعنى أوقد لا يقتضيه. ألا ترى أنه يكون المعنى في الطلب استدعوا نارا فأوقدوها، فلما أضاءت ما حوله، لأن الإضاءة لا تتسبب عن الطلب، إنما تتسبب عن الاتقاد، فلذلك كان حملها على غير الطلب أرجح)[٢]

(١) النحوي، اللغوي: سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي البصري، أبو الحسن، المعروف بالأخفش الأوسط، وفاته: سنة (٢١٠هـ) انظر الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة تفسير والإقراء والنحو واللغة صفحة (٩٦٨)

(٢) البحر المحيط في التفسير (١/ ١٢٧) .

المطلب الثالث

من استوقد ناراً فأضاءت قليلاً فقد انتفع بها وبنورها ثم حرم، فأما المنافقون فلا انتفاع لهم البتة بالايمان فما وجه التمثيل ؟

والجواب: أن الذي أظهروه يوهم أنه من باب النور الذي ينتفع به وذهاب النور هو ما يظهره لأصحابه من الكفر والنفاق، ومن قال بهذا قال إن المثل إنما عطف على قوله (وإذا لقوا الذين ءامنوا قالوا ءامنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم) فالنار مثل لقولهم (آمنا) وذهابه مثل لقولهم للكفار (إنا معكم)

فان قيل: وكيف صار ما يظهره المنافق من كلمة الايمان مثلاً بالنور وهو حين تكلم بها أضمر خلافها ؟

والجواب: أنه لوضم إلى القول اعتقاداً له وعملاً به لأتم النور لنفسه ولكنه لما لم يفعل لم يتم نوره، وإنما سمي مجرد ذلك القول نوراً لأنه قول حق في نفسه.

وجواب آخر: يجوز أن يكون استيقاد النار عبارة عن إظهار المنافق كلمة الايمان وإنما سماه نوراً لأنه يتزين به ظاهره فيهم ويصير ممدوحاً بسببه فيما بينهم، ثم إن الله تعالى يذهب ذلك النور بهتك ستر المنافق بتعريف نبيه والمؤمنين حقيقة أمره فيظهر له اسم النفاق بدل ما يظهر منه من اسم الإيمان فبقي في ظلمات لا يصبر، إذا النور الذي كان له قبل قد كشف الله أمره فزال[1].

(١) انظر التفسير الكبير (١/٧٤)

وجواب آخر: تفيد دقة التصوير القرآني للأحوال، فالصورة المضروبة هنا للمنافق صورة دقيقة ؛ لأنه لما أقرَّ بلسانه من غير اعتقاد بقلبه كان ما معه من النور كهذه النار المستعارة الدال عليها قوله: (استوقد) فنوره مستوقده من غيره، وليس نابع من دواخله، فكل هذه المعاني التشبيهية جمعها القرآن الكريم في كلمة.[١]

(١) انظر الجامع في الهدايات القرآنية الحزب الأول من سورة البقرة جمع واستنباط مجموعة من الباحثين بإشراف / أ.د طه عابدين - كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى (٩٧) .

المطلب الرابع

مستوقد النار قد اكتسب لنفسه النور، والله تعالى ذهب بنوره وتركه في الظلمات، والمنافق لم يكتسب خيراً وما حصل له من الخيبة والحيرة فقد أتى فيه من قبل نفسه، فما وجه التشبيه ؟

والجواب من وجوه:

١) أنهم لما وضعوا بأنهم اشترو الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة التي اشتروها وطبع بها على قلوبهم، بذهاب الله بنورهم وتركه إياهم في الظلمات.

٢) يجوز أن يكون المستوقد ههنا مستوقد نار لا يرضاها الله تعالى، والغرض تشبيه الفتنة التي حاول المنافقون إثارتها بهذه النار، فان الفتنة التي كانوا يثيرونها كانت قليلة البقاء ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ المائدة (٦٤)

٣) أن هذه الآيات هي في اليهود، نزلت فيهم وما كانوا عليه من انتظارهم لخروج رسول الله صلى عليه وسلم واستفتاحهم به على مشركي العرب، فلما خرج كفروا به فكان انتظارهم لمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ كايقاد النار، وكفرهم به بعد ظهوره كزوال ذلك النور).[1]

قال ابن عادل معقبا على هذا القول: (إن لم يصحّ ذلك بل كانوا مُنَافقين

(١) انظر التفسير الكبير (١ / ٧٤ - ٧٥)

من أول الأمر، فها هنا تأويل آخر.

قال ابن عباس[١]: وقتادة[٢]، ومقاتل[٣]، والضحاك[٤]، والسدي[٥]، والحسن[٦]: نزلت في المُنافقين يقول: مَثَلُهُمْ في نِفاقِهِم كَمَثَلِ رجل أوقد ناراً في ليلة مظلمة في مَغَارةٍ، فاستدفأ، ورأى ما حوله فاتَّقَى مما يخاف، فَبَيْنَا هو كذلك إذْ طُفِئَتْ ناره، فبقي في ظلمة خائفا متحيراً، فكذلك المنافقون بإظهارهم كلمة الإيمان أمنوا على أموالهم، وأولادهم، وناكحوا المؤمنين، وأورثوهم، وقاسموهم الغَنَائم، وسائر أحكام المسلمين، فذلك نورهم، فإذَا

(١) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس، ولد: سنة (٣هـ) وفاته: سنة (٦٨هـ) انظر الأعلام صفحة (٩٥/٤)

(٢) المفسر: قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز السدوسي البصري، أبو الخطاب الضرير، ولد: سنة (٦٠هـ) وفاته: سنة (١١٧) انظر الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة تفسير والإقراء والنحو واللغة صفحة (١٨٥٧)

(٣) المفسر: مقاتل بن حيان، أبو بسطام النبطي البلخي الخراز، وهو ابن داول دوز وهو بالفارسي الخراز، وفاته: في حدود سنة (١٥٠هـ) انظر الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة تفسير والإقراء والنحو واللغة صفحة (٢٦٧٦)

(٤) المفسر: الضحاك بن مزاحم البلخي الخرساني الهلالي، أبو محمد، وأبو قاسم، وفاته: سنة (١٠٢هـ) انظر الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة تفسير والإقراء والنحو واللغة صفحة (١٠٦٩)

(٥) المفسر: اسماعيل بن عبد الرحمن بن ابي كريمة وقيل: ابن أبي ذؤيب السدي، أبو محمد الحجازي ثم الكوفي الأعور، المشهور بالسدي الكبير، وفاته: سنة (١٢٨هـ) انظر الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة تفسير والإقراء والنحو واللغة صفحة (٤٩٧)

(٦) سبقت ترجمتة (ص٢٦٢)

ماتوا عادوا إلى الظُّلْمَةِ والخوف، ولما كان ذلك بالإضافة إلى العذاب الدَّائم مثل الذّرة، شبههم بمستوقد النّار الذي انتفع بضوئها قليلاً، ثم سلب ذلك، فدامت حسرته وحيرته للظُّلمة العَظِيمةِ التي جاءته عقيب النُّور اليسير).[1]

(١) اللباب في علوم الكتاب (١/٣٨٠)

المطلب الخامس

ما الذي يفيده التنكير في قوله تعالى: (استوقد نارا)؟

هذا سؤال أجاب عليه أبو حيان[١] وبين علته بقوله:) ونكر نارا وأفردها، لأن مقابلها من وصف المنافق إنما هو نزر يسير من التقييد بالإسلام، وجوانحه منطوية على الكفر والنفاق مملوءة به، فشبه حاله بحال من استوقد نارا ما إذ لا يدل إلا على المطلق، لا على كثرة ولا على عهد[٢]

(١) سبقت ترجمته (ص٢٥٩)

(٢) البحر المحيط في التفسير (١/ ١٢٧)

المبحث الثالث

قوله تعالى: (فلما أضاءت ما حوله)

فيه مطالب:

المطلب الأول

يقع في كتاب الله تعالى تشبيه الايمان بالنور والكفر بالظلمة، وهو كثير ووجهه أن النور قد بلغ النهاية في كونه هادياً إلى المحجة وإلى طريق المنفعة، وإزالة الحيرة وهذا حال الايمان في باب الدين، فشبه ما هو النهاية في إزالة الحيرة ووجدان المنفعة في باب الدين بما هو الغاية في باب الدنيا، وكذلك القول في تشبيه الكفر بالظلمة، لأن الضال عن الطريق المحتاج إلى سلوكه لا يرد عليه من أسباب الحرمان والتحير أعظم من الظلمة، ولا شيء كذلك في باب الدين أعظم من الكفر فشبه تعالى أحدهما بالآخر.[1]

قال ابن عاشور[2] مبينا هذا المعنى: (واختيار لفظ النور في قوله: ذهب الله بنورهم دون الضوء ودون النار لأن لفظ النور أنسب لأن الذي يشبه النار من الحالة المشبهة هو مظاهر الإسلام التي يظهرونها وقد شاع التعبير عن الإسلام بالنور في القرآن فصار اختيار لفظ النور هنا بمنزلة تجريد الاستعارة لأنه أنسب بالحال المشبهة، وعبر عما يقابله في الحال المشبه بها بلفظ

---

(١) التفسير الكبير (١ / ٧٥)

(٢) المفسر: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن محمد الشاذلي ولد: سنة (١٢٩٦هـ) وفاته: سنة (١٣٩٣هـ) انظر الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة تفسير والإقراء والنحو واللغة صفحة (٢٥٦٥)

يصلح لهما أو هو بالمشبه أنسب في اصطلاح المتكلم)[١]

(١) التحرير والتنوير (١/ ٣١٠)

المطلب الثاني

الاضاءة فرط الانارة ومصداق ذلك قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءً وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا ﴾ يونس (٥)

و(أضاء) يرد لازماً ومتعدياً، تقول أضاء القمر الظلمة، وأضاء القمر بمعنى استضاء، ويقال أضاءت النار بنفسها وأضاءت غيرها إلى ما حوله. والتأنيث للحمل على المعنى لأن ما حول المستوقد أماكن وأشياء، ويعضده قراءة ابن أبي عبلة[١] (ضاءت).[٢]

قال الزمخشري[٣]:

(وفيه وجه آخر، وهو أن يستتر في الفعل ضمير النار. ويجعل إشراق ضوء النار حوله بمنزلة إشراق النار نفسها، على أنّ ما مزيدة أو موصولة في معنى الأمكنة. وحَوْلَهُ نصب على الظرف وتأليفه للدوران والإطافة. وقيل للعام: حول لأنه يدور).[٤]

---

(١) المقرئ: ابراهيم بن أبي عبلة واسمه شمر بن يقظان بن المرتحل العقيلي، أبو إسماعيل، وقيل أبو إسحق وقيل: أبو سعيد الشامي الدمشقي، ويقال: الرملي، ويقال المقدسي، ولد: بعد سنة (٦٠هـ) وفاته: سنة (١٥١هـ) انظر الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة تفسير والإقراء والنحو واللغة صفحة (٣٩)

(٢) التفسير الكبير (١ / ٧٥ -٧٦)

(٣) سبقت ترجمته (ص٢٥٨)

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ٧٣)

قال الطيبي[١] مبينا ما قاله الزمخشري[٢]: (قوله: (وهي في الآية متعدية) فعلى هذا الهاء موصولة مفعول به، أي: أضاءت النار ما حول المستوقد ويجوز أن تكون غير متعدية فيسند لفعل ما إلى "ما" على تأويل: أضاءت الأماكن التي حول المستوقد، أو يسند إلى ضمير النار، فعلى هذا ينتصب (مَا حَوْلَهُ) على الظرفية أي: أضاءت النار في الأمكنة التي حول المستوقد، وإنما أضاء إشراق النار فيما حوله لا هي نفسها لكن يجعل إشراق ضوء النار بمنزلة إشراق النار في نفسها؛ لأن ضوء النار لما كان محيطا بالمستوقد مشرقا فيما حوله غاية الإشراق، أسند الفعل إلى النار نفسها إسنادًا للفعل إلى الأصل كقولهم: بنى الأمير للمدينة).[٣]

(١) اللغوي، المفسر: الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي، شرف الدين، وفاته: سنة (٧٤٣هـ) انظر الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة تفسير والإقراء والنحو واللغة صفحة (٨٠٥)

(٢) سبقت ترجمته (ص٢٥٨)

(٣) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) (٢/ ٢٣٢)

المطلب الثالث

تفسير قوله تعالى: (ما حوله).

قال الإمام الرازي[1] مبينا ذلك: (وأما ما حوله الشيء فهو الذي يتصل به، تقوله: دار حوله وحواليه، والحول السنة لأنها تحول وحال عن العهد أي تغير، وحال لونه أي تغير لونه، والحوالة انقلاب الحق من شخص إلى شخص، والمحاولة طلب الفعل بعد أن لم يكن طالباً له والحول انقلاب العين، والحول الانقلاب. والضمير في (حوله) يعود للمستوقد النار.[2]

وعبارة البقاعي[3] في بيان ذلك: (وحَوْلُ الشيء: موضعُ حركتِهِ ومَبْدَأُ تَحَوُّلِهِ).[4]

ولهذا الأسلوب نكتة بلاغية ذكرها ابن القيم[5] بقوله: وتأمل قوله

---

(١) فخر الدين محمد بن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري ولد سنة (٥٤٤هـ) وتوفي سنة (٦٠٤هـ)

(٢) التفسير الكبير (١ / ٧٦)

(٣) النحوي، المفسر: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر الخرباوي البقاعي، برهان الدين، ولد: سنة (٨٠٩هـ) وفاته: سنة (٨٨٥هـ) انظر الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة تفسير والإقراء والنحو واللغة صفحة (٦٥)

(٤) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الحكمة (١/ ١١٣)

(٥) النحوي، اللغوي، المفسر: محمد بن أبي بكر بن ايوب بن سعد بن حريز الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين المعروف بابن القيم الجوزيه الحنبلي. ولد سنة (٦٩١هـ) وفاته سنة (٧٥١هـ) انظر الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة تفسير والإقراء والنحو واللغة صفحة (١٩٩٣)

تعالى: (أَضاءَتْ ما حَوْلَهُ كيف جعل ضوءها خارجا عنه منفصلا؟ ولو اتصل ضوؤها به ولابسه لم يذهب، ولكنه كان ضوء مجاورة، لا ملابسة ومخالطة. وكان الضوء عارضا والظلمة أصلية. فرجع الضوء إلى معدنه وبقيت الظلمة في معدنها. فرجع كل منهما إلى أصله اللائق به، حجة من الله تعالى قائمة. وحكمة بالغة، تعرّف بها إلى أولي الألباب من عباده).[1]

(١) التفسير القيم = تفسير القرآن الكريم لابن القيم (ص: ١١٨)

المطلب الرابع

الظلمة في أصل اللغة عبارة عن النقصان، قال الله تعالى ﴿ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ ﴾ الكهف (٣٣) أي لم تنقص وفي المثل: من أشبه أباه فما ظلم، أي: فما نقص حق الشبه، والظلم الثلج لأنه ينتقص سريعا

قال الزمخشري[١] مبينا معنى الظلمة وذاكرا بعض الأسرار البلاغية المتعلقة بهذه الآية: (قوله: (وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُماتٍ) أصله: هم في ظلمات، ثم دخل ترك فنصب الجزأين.

والظلمة عدم النور. وقيل: عرض ينافي النور. واشتقاقها من قولهم: ما ظلمك أن تفعل كذا: أى ما منعك وشغلك، لأنها تسدّ البصر وتمنع الرؤية. وقرأ الحسن[٢] (ظلمات) بسكون اللام وقرأ اليماني (في ظلمة) على التوحيد. والمفعول الساقط من (لا يبصرون) من قبيل المتروك المطرح الذي لا يلتفت إلى إخطاره بالبال، لا من قبيل المقدر المنوي، كأنّ الفعل غير متعدّ أصلا، نحو (يَعْمَهُونَ) في قوله: (وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ).

فإن قلت: فيم شبهت حالهم بحال المستوقد؟ قلت: في أنهم غب الإضاءة خبطوا في ظلمة وتورّطوا في حيرة.

فان قلت: وأين الإضاءة في حال المنافق؟ وهل هو أبداً إلا حائر خابط في ظلماء الكفر؟ قلت: المراد ما استضاءوا به قليلا من الانتفاع بالكلمة

---

(١) سبقت ترجمته (ص٢٥٨)

(٢) سبقت ترجمته (ص٢٦٢)

المجراة على ألسنتهم، ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق التي ترمى بهم إلى ظلمة سخط اللَّه وظلمة العقاب السرمد. ويجوز أن يشبه بذهاب اللَّه بنور المستوقد اطلاع اللَّه على أسرارهم وما افتضحوا به بين المؤمنين واتسموا به من سمة النفاق).[١]

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ٧٥)

المطلب الخامس

في بيان معنى (لَمَّا) وما تقتضيه

قال البقاعي[1] موضحا معناها وما تقتضيه: (و"لما" ظرفُ زمانٍ ماضٍ لا يتم إلا بِصِلَتِه[2]، وصلَتُهُ أولُ العاملَيْن، ولا يستقيم إلا بالعامل الثاني. تقول: لمَّا دعوتك أَجَبْتَني).[3]

قال ابن جزي[4]: (فَلَمَّا أَضاءَتْ إن تعدّى فما حوله مفعول به، وإن لم يتعدّ فما زائدة أو ظرفية ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ أي أذهبه، وهذه الجملة جواب لما محذوف تقديره: طفيت النار)،[5]

---

(١) سبقت ترجمته (ص٢٧٧)

(٢) قال محقق تفسير البقاعي: مذهب سيبويه أن "لما" حرف وجوب لوجوب وعبارته التي في الكتاب (٢/ ٣١٢) للأمر الذي قد وقع لوقوع غيره. وزعم الفارسي وتبعه أبو البقاء كما في الإملاء (١/ ٢١) أنها ظرف بمعنى حين، وأن العامل فيها جوابها،
وقد رُدَّ عليه بأنها أجيبت بـ "ما" النافية و"إذا" الفجائية ومنه قوله تعالى: {فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا} وقوله تعالى: {فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ} و"ما" النافية و"إذا" الفجائية لا يعمل ما بعدهما فيما قبلهما فانتفى أن تكون ظرفًا، وهو جواب وَرَدٌّ لما ذكره المؤلف رحمه الله من أنها ظرف زمان [الدر المصون ١/ ١٥٩ - الإملاء ١/ ٢١ - الإيضاح ٣١٩ - الدرر ٢/ ٧٣]

(٣) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الحكمة (١/ ١١٢)

(٤) المفسر: أبو أحمد بن جزي الكلبي، وفاته في حدود: سنة (٦٢٠هـ) انظر الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة تفسير والإقراء والنحو واللغة صفحة (١٦٥)

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٧٢)

ولذلك فائدة بيانية ذكرها الواحدي[١] بقوله: (وكان يجب في حق النظم أن يكون اللفظ[٢]: (فلما أضاءت ما حوله أطفأ الله ناره) ليشاكل جواب (لما) معنى هذه القصة. ولكن لما كان إطفاء النار مثلا لإذهاب نورهم، أقيم ذهاب النور مقام الإطفاء، وجعل جواب (لما) اختصارا وإيجازا، وهذا طريق حسن في الآية).[٣]

قال الإمام مكي[٤] مبينا جواب (لما): (وجواب " لما " محذوف تقديره: فلما أضاءت ما حوله طفئت، و" ما " في قوله: {أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُ} في موضع نصب بِ " أَضَاءَتْ ".

وقيل: هي زائدة لا موضع لها من الإعراب. والمعنى: " فلما أضاءت

(١) النحوي، اللغوي، المفسر: علي بن أحمد بن محمد بن علي بن منوية الواحدي المنوي، وفاته: سنة (٤٦٨هـ) انظر الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة تفسير والإقراء والنحو واللغة صفحة (١٥٤٧)

(٢) قال محقق التفسير البسيط: هذا التعبير لا يناسب مقام كتاب الله، وإن كان للعبارة وجه من الاحتمال، لكن الأولى استعمال الألفاظ والأساليب التي تليق بكلام الله الذي هو في قمة الفصاحة والبلاغة، والله سبحانه قال {ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ} وهذا أبلغ مما ذكر الواحدي في قوله: (أطفأ الله ناره) فالنار إذا انطفأت يمكن إيقادها، ولكن إذا ذهب نورها وسلب فلا فائدة فيها. وكذا قوله: (وهذا طريق حسن في الآية) وهل هناك أحسن مما تكلم الله به؟!.

(٣) التفسير البسيط (٢/ ١٩٢)

(٤) النحوي، المفسر، المقرئ: مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار الأندلسي القيسي، أبو محمد ولد: سنة (٣٥٥هـ) وفاته: سنة (٤٣٧هـ) انظر الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة تفسير والإقراء والنحو واللغة صفحة (٢٦٧٩)

النار، الموضع الذي بحوله. " فما " غير زائدة).[1]

قال ابن عاشور[2] مفصلا ذلك: ((لما) مفرع على استوقد، وهو حرف يدل على وقوع شئ عند وقوع غيره، فوقوع جوابها مقارن لوقوع شرطها.

وعلى وجه التعدي يكون المعنى: فلما أضاءت النار الجهات التي حوله وهو معنى ارتفاع شعاعها وسطوع لهبها، فيكون ما حوله موصولاً مفعولاً لأضاءت وهو المتبادر، وعلى وجه كونها لازماً غير متعدي فيكون المعنى أضاءت النار أي اشتعلت وكثر ضوئها في نفسها، ويكون ما حوله على هذا ظرفاً للنار أي: حصل ضوء النار حولها غير بعيد عنها.

وحوله ظرف للمكان القريب، ولا يلزم أن يراد به الاحاطة فـ(حوله) هنا بمعنى لديه، ومن توهم أن (ما حوله) يقتضي ذلك وقع في مشكلات لم يجد منها مخلصاً إلا بعناء).[3]

وبسط أبو حيان[4] هذه المسألة حاكيا الأقوال الواردة فيها ومرجحا بينها فقال: (وأجازوا أن يكون جواب لما محذوفا لفهم المعنى، كما حذفوه في قوله: فلما ذهبوا به وأجمعوا، الآية.

قال الزمخشري[5]: (وإنما جاز حذفه لاستطالة الكلام مع أمن الإلباس

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية (١/ ١٧١)

(٢) سبقت ترجمته (ص٢٧٣)

(٣) التحرير والتنوير (١ / ٣٠٨)

(٤) سبقت ترجمته (ص٢٥٩)

(٥) سبقت ترجمته (ص٢٥٨)

الدال عليه) انتهى. وقوله: لاستطالة الكلام غير مسلم لأنه لم يستطل الكلام، لأنه قدره خمدت،

وأي استطالة في قوله: فلما أضاءت ما حوله، خمدت؟ بل هذا لما وجوابها، فلا استطالة بخلاف قوله: فلما ذهبوا به، فإن الكلام قد طال بذكر المعاطيف التي عطفت على الفعل وذكر متعلقاتها بعد الفعل الذي يلي لما، فلذلك كان الحذف سائغا لاستطالة الكلام. وقوله: مع أمن الإلباس، وهذا أيضا غير مسلم، وأي أمن إلباس في هذا ولا شيء يدل على المحذوف؟

بل الذي يقتضيه ترتيب الكلام وصحته ووضعه مواضعه أن يكون ذهب الله بنورهم هو الجواب، فإذا جعلت غيره الجواب مع قوة ترتب ذهاب الله بنورهم على الإضاءة، كان ذلك من باب اللغز، إذ تركت شيئا يبادر إلى الفهم وأضمرت شيئا يحتاج في تقديره إلى وحي يسفر عنه، إذ لا يدل على حذفه اللفظ مع وجود تركيب ذهب الله بنورهم.

ولم يكتف الزمخشري بأن جوز حذف هذا الجواب حتى ادعى أن الحذف أولى، قال: وكان الحذف أولى من الإثبات، لما فيه من الوجازة مع الإعراب عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو أبلغ للفظ في أداء المعنى، كأنه قيل: فلما أضاءت ما حوله خمدت، فبقوا خابطين في ظلام، متحيرين متحسرين على فوت الضوء، خائبين بعد الكدح في إحياء النار، انتهى.

وهذا الذي ذكره نوع من الخطابة لا طائل تحتها، لأنه كان يمكن له ذلك لو لم يكن يلي قوله: فلما أضاءت ما حوله، قوله: ذهب الله بنورهم.

وأما ما في كلامه بعد تقدير خمدت إلى آخره، فهو مما يحمل اللفظ ما لا يحتمله، ويقدر تقادير وجملا محذوفة لم يدل عليها الكلام، وذلك عادته في غير ما كلام في معظم تفسيره، ولا ينبغي أن يفسر كلام الله بغير ما يحتمله، ولا أن يزاد فيه، بل يكون الشرح طبق المشروح من غير زيادة عليه ولا نقص منه.

ولما جوزوا حذف الجواب تكلموا في قوله تعالى: ذهب الله بنورهم، فخرجوا ذلك على وجهين: أحدهما: أن يكون مستأنفا جواب سؤال مقدر كأنه قيل: ما بالهم قد أشبهت حالهم حال هذا المستوقد؟ فقيل: ذهب الله بنورهم.

والثاني: أن يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان، قالهما الزمخشري، وكلا الوجهين مبنيان على أن جواب لما محذوف، وقد اخترنا غيره وأنه قوله تعالى: ذهب الله بنورهم والوجه الثاني من التخريجين اللذين تقدم ذكرهما، وهو أن يكون قوله: ذهب الله بنورهم بدلا من جملة التمثيل، على سبيل البيان، لا يظهر في صحته، لأن جملة التمثيل هي قوله: مثلهم كمثل الذي استوقد نارا، فجعله ذهب الله بنورهم بدلا من هذه الجملة، على سبيل البيان، لا يصح، لأن البدل لا يكون في الجمل إلا إن كانت الجملة فعلية تبدل من جملة فعلية، فقد ذكروا جواز. ذلك. أما أن تبدل جملة فعلية من جملة اسمية فلا أعلم أحدا أجاز ذلك، والبدل على نية تكرار العامل.

والجملة الأولى لا موضع لها من الإعراب لأنها لم تقع موقع المفرد، فلا يمكن أن تكون الثانية على نية تكرار العامل، إذ لا عامل في الأولى فتكرر

في الثانية فبطلت جهة البدء فيها، ومن جعل الجواب محذوفا جعل الضمير في بنورهم عائدا على المنافقين.).[١]

(١) البحر المحيط في التفسير (١/ ١٢٨)

المبحث الرابع

قوله تعالى: (ذهب الله بنورهم)

وفيها مطالب:

المطلب الأول

لم قال (ذهب الله بنورهم) ولم يقل: (أذهب الله نورهم) ؟

والجواب ذكرها الرازي بقوله: (الفرق بين أذهب وذهب به أن معنى أذهبه أزاله وجعله ذاهباً ويقال ذهب به إذا استصحبه ومعنى به معه وذهب السلطان بماله أخذه قال تعالى ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ ﴾ يوسف (١٥) **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ إِذَا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ ﴾ المؤمنون (٩١) والمعنى أخذ الله نورهم وأمسكه ﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ﴾ فاطر (٢) فهو أبلغ من الاذهاب، وقرأ اليماني (أذهب الله نورهم)[1]

وكلام الرازي يدل على أمرين: الأول: الفرق بين أذهب وذهب به والثاني: أن قوله تعالى: (ذهب الله بنورهم) أبلغ من الإذهاب.

أما الأمر الأول فقد بيَّنه السيوطي[2] بقوله: (وقد ذكروا أن التعدية بالباء

---

(١) التفسير الكبير (١ / ٧٦)

(٢) النحوي، اللغوي، المفسر: عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد بن سابق الدين ابن فخر عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين حضر بن نجم الدين أبي الصلاح أيوب الخضيري السيوطي، ولد سنة (٨٤٩هـ) وفاته: سنة (٩١١هـ) انظر الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة تفسير والإقراء والنحو واللغة صفحة (١١٥٣)

أبلغ من الهمزة ذكره المبرد، ثم السهيلي، ثم صاحب " المثل السائر ". قال: من ذهب بشيء فقد أذهبه، وليس كل من أذهب شيئا فقد ذهب به؛ لأن قولنا: ذهب به يفهم منه أنه استصحبه معه، وأمسكه عن الرجوع إلى حالته الأولى، وليس كذلك أذهبه.

وتوقف فيه صاحب " الفلك الدائر "[١] باستوائهما في معنى التعدية. ورده الطيبي بأن ذلك لا يمنع أن تفيد مع التعدية معنى سواها، وليس النزاع إلا فيه، فإن الهمزة للإزالة، والباء للمصاحبة، وصاحب المعاني لا ينظر إلا إلى الفرق بينهما، واستعمال كل منهما في مقامه، لا إلى التعدية نفسها، فإن البحث عنها وظيفة النحوي.

وقال أبو حيان[٢]: الباء عند جمهور النحويين ترادف الهمزة، فإذا قلت: خرجت بزيد، فمعناه أخرجت زيدا، ولا يلزم أن تكون أنت خرجت.

وقال المبرد[٣]: إذا قلت: قمت بزيد دلّ على أنك قمت، وأقمته، وإذا قلت: أقمت زيدا لم يلزم أنك قمت. ففرق بين الباء والهمزة في التعدية.

ورد عليه بهذه الآية ونحوها، ألا ترى أن المعنى أذهب الله نورهم، والله

---

(١) عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين، ولد: سنة (٥٨٦هـ) وفاته: سنة (٦٥٦هـ) الأعلام صفحة (٢٨٩/٣)

(٢) سبقت ترجمته (ص٢٥٩)

(٣) النحوي، اللغوي: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري، أبو العباس، المبرد (بالفتح)، وقيل: المبرد (بالكسر) ولد: سنة (٢١٠هـ وقيل ٢٠٧هـ) وفاته: سنة (٢٨٥هـ) انظر الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة تفسير والإقراء والنحو واللغة صفحة (٢٤٨٨)

تعالى لا يوصف بالذهاب مع النور.

وأجيب أنه لا يلزم ذلك؛ إذ يجوز أن يكون الله وصف نفسه بالذهاب على معنى يليق به، كما وصف نفسه بالمجيء في قوله (وجاء ربك) [سورة الفجر ٢٣] والذي يفسد قول المبرد[١] من التفرقة. بين الباء والهمزة قول الشاعر:

دِيَـارُ الَّتِـي كَانَـتْ وَنَحـنُ عَلَـى مِنَـى ** تَحِـلُّ بِنَـا لَـوْلا نَجَـاءُ الرَكَائِـبِ[٢]

أي تُحِلُّنا.

المعنى: تصيرنا حلالا غير محرمين، وليست تدخل معهم في ذلك؛ لأنها لم تكن حراما فتصير حلالا بعد ذلك).[٣]

وأما الأمر الثاني فقد بيَّنه ابن جزي[٤] بقوله:: (فإن قيل: لم قال: ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ولم يقل: أذهب الله نورهم، مشاكلة لقوله: فَلَمَّا أَضاءَتْ فالجواب: أن إذهاب النور أبلغ لأنه إذهاب للقليل والكثير، بخلاف الضوء

(١) النحوي، اللغوي: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري، أبو العباس، المبرد (بالفتح)، وقيل: المبرد (بالكسر) ولد: سنة (٢١٠هـ وقيل ٢٠٧هـ) وفاته: سنة (٢٨٥هـ) انظر الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة تفسير والإقراء والنحو واللغة صفحة (٢٤٨٨)

(٢) انظر الدر الفريد وبيت القصيد (٢١١/٣) وهي لقيس ابن الخطيب وفي جمهرة أشعار العرب (٥٠٧/١) تحل بها لولا نجاء النجائب.

(٣) نواهد الأبكار حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي (١/ ٤٢٤)

(٤) سبقت ترجمته (ص٢٨١)

فإنه يطلق على الكثير).[١]

قال ابن عاشور[٢]: (وذهب المعدى بالباء أبلغ من أذهب المعدى بالهمزة وهاته المبالغة في التعدية بالباء نشأت من أصل الوضع لأن أصل ذهب به أن يدل على أنهما ذهبا متلازمين فهو أشد في تحقيق ذهاب المصاحب كقوله: فلما ذهبوا به [يوسف: ١٥]

وأذهبه جعله ذاهبا بأمره أو إرساله فلما كان الذي يريد إذهاب شخص إذهابا لا شك فيه يتولى حراسة ذلك بنفسه حتى يوقن بحصول امتثال أمره صار ذهب به مفيدا معنى أذهبه، ثم تنوسي ذلك بكثرة الاستعمال فقالوا ذهب به ونحوه ولو لم يصاحبه في ذهابه كقوله: يأتي بالشمس من المشرق [البقرة: ٢٥٨] وقوله: وجاء بكم من البدو [يوسف: ١٠٠] ثم جعلت الهمزة لمجرد التعدية في الاستعمال فيقولون: ذهب القمار بمال فلان ولا يريدون أنه ذهب معه، ولكنهم تحفظوا ألا يستعملوا ذلك إلا في مقام تأكيد الإذهاب فبقيت المبالغة فيه).[٣]

وهنالك فوائد أخرى غير ذلك منها ما ذكره ابن القيم[٤] بقوله: (في هذا المثل إيذان وتنبيه على حالهم في الآخرة، وأنهم يعطون نورا ظاهرا، كما كان نورهم في الدنيا ظاهرا. ثم يطفأ ذلك أحوج ما يكونون إليه إذ لم تكن له مادة

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٧٢)

(٢) سبقت ترجمته (ص٢٧٣)

(٣) التحرير والتنوير (١/ ٣١٠)

(٤) سبقت ترجمته (ص٢٧٧)

باقية تحمله، وبقوا في الظلمة على الجسر، لا يستطيعون العبور. فإنه لا يمكن أحدا عبوره إلا بنور ثابت يصحبه حتى يقطع الجسر. فإن لم يكن لذلك النور مادة من العلم النافع والعمل الصالح، وإلا ذهب الله تعالى به أحوج ما كان إليه صاحبه. فطابق مثلهم في الدنيا بحالتهم التي هم عليها في هذه الدار، وبحالتهم يوم القيامة عند ما يقسم النور.

ومن هاهنا يعلم السر في قوله تعالى: «ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ» ولم يقل أذهب الله نورهم. فإن أردت زيادة بيان وإيضاح، فتأمل ما رواه مسلم[1] في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله[2] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقد سئل عن الورود؟ فقال: «نجيء نحن القيامة على تل فوق الناس: قال: فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد: الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا تبارك وتعالى بعد ذلك، فيقول: من تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر ربنا. فيقول: أنا ربكم. فيقولون: حتى ننظر إليك، فيتجلى ويضحك قال: فينطلق بهم، فيتبعونه، ويعطي كل إنسان منهم- منافق أو مؤمن- نورا ثم يتبعونه. وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك، تأخذ من شاء الله تعالى. ثم يطفأ نور المنافقين، ثم ينجو المؤمنون. فتنجو أول زمرة، وجوههم كالقمر ليلة البدر، سبعون ألفا لا يحاسبون. ثم الذين يلونهم. كأضوأ نجم في السماء، ثم كذلك. ثم تحل الشفاعة، ويشفعون حتى يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة،

(١) مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، أبو الحسين ولد: سنة (٢٠٤هـ) وفاته: سنة (٢٦١هـ) أنظر الأعلام صفحة (٢٢١/٧)

(٢) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الصحابي الجليل كان أمير المدينة (ت ٧٧هـ) انظر أسد الغابة (٣٠٧/١)

فيجعلون بفناء الجنة، ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء. وذكر باقي الحديث». فتأمل).[١].

ومن ذلك ما ذكره محمد رشيد رضا[٢] بقوله: (وإنما قال: (ذهب الله بنورهم) ولم يقل: ذهب نورهم، أو أذهب الله نورهم، للإشعار بأن الله تعالى كان معهم بمعونته وتوفيقه عندما استوقدوا النار فأضاءت، وذلك أنهم كانوا قائمين على سبيل فطرته التي فطر الناس عليها، معتقدين صحة شريعته التي دعا الناس إليها، وبأنه تخلى عنهم عندما نكبوا عن تلك السبيل، وعافوا ذلك المورد السلسبيل.

ولا شك أن المستوقد المسترشد تكون له حالة مع الله تعالى مرضية في التوجه إليه وقصد اتباع هداه، والاستضاءة بنوره الذي وهبه إياه، فإذا أعرض عنه وكله الله إلى نفسه وذهب بنوره، وإذا ذهب النور لا يبقى إلا الظلمة، وما كان هؤلاء في ظلمة واحدة ولكنها ظلمات بعضها فوق بعض، متعددة بتعدد أنواع التقاليد التي فتنوا بها، وبتعدد أنواع الهداية التي أعرضوا عنها، ولذلك قال: (وتركهم في ظلمات لا يبصرون) شيئا. حذف مفعول يبصرون إيذانا بالعموم، أي لا يبصرون مسلكا من مسالك الهداية ولا يرون طريقا من طرقها لأنه صرف عنايته عنهم بتركهم سنته وإهمالهم هدايته ووكلهم إلى أنفسهم، ويا ويل من وكله الله إلى نفسه وحرمه توفيقه، نسأل الله العافية).[٣]

(١) التفسير القيم = تفسير القرآن الكريم لابن القيم (ص: ١٢٣)

(٢) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن ملة علي خليفة القلموني ولد سنة (١٢٨٢هـ) وفاته سنة (١٣٥٤هـ) انظر الأعلام (١٢٦/٦)

(٣) تفسير المنار (١/ ١٤٣)

المطلب الثاني

هلا قيل: ذهب الله بضوئهم، لقولهم (فلما أضاءت) ؟

فالجواب: ذكر النور أبلغ لأنّ الضوء فيه دلالة على الزيادة. فلو قيل: ذهب اللَّه بضوئهم، لأوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نوراً، والغرض إزالة النور عنهم رأساً وطمسه أصلا.

ألا ترى كيف ذكر عقيبه وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُماتٍ والظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه، وكيف جمعها، وكيف نكرها، وكيف أتبعها ما يدل على أنها ظلمة مبهمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله لا يُبْصِرُونَ. فان قلت: فلم وصفت بالإضاءة؟ قلت: هذا على مذهب قولهم:

للباطل صولة ثم يضمحل. ولريح الضلالة عصفة ثم تخفت)[1]

جاء في حاشية الطيبي[2] على الكشاف: (قوله: (أَضَاءَتْ) فالمناسب أن يقال: بضوئهم، ليكون من باب رد العجز على الصدر، وأجاب عنه بأن مراعاة تلك النكتة- وهي إزالة النور بالكلية- اقتضت المخالفة، ثم سأل ثانيا على الإنكار: "فلم وصفت بالإضاءة؟ " يعني إذا كان الغرض إزالة النور بالكلية، وأنه لو قيل: ذهب الله بضوئهم، لم يحصل الغرض، فما الذي استدعى وصف النار بالإضاءة دون الإنارة، إذ لو قيل: فلما أنارت ما حوله لحصل المقصود أيضًا وتجاوب النظم؟ وأجاب بما معناه: أنه أدمج في الكلام معنى

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ٧٤)

(٢) سبقت ترجمته (ص٢٧٦)

الباطل، وتحريره: أن سياق الكلام كان في إثبات ضوء أو نور كيف ما كان، ثم إزالته ليحصل غرض التمثيل، ففي إيراده على هذه الطريقة إشعار بمعنى البطلان أيضًا، فإنه ثبت عند ذوي البصائر وأرباب النهى قوة ظهور الباطل في بدء الحال ثم اضمحلاله سريعًا في المآل، فقيل: (فَلَمَّا أَضَاءَتْ) ليثبت أولاً الإفراط في إشراق النار ثم (ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ) ليثبت التفريط فيه ثانيًا، ليكون على وزان قولهم: للباطل صولة ثم يضمحل. وفي هذا التقرير إيذان بأن الواجب أن يحمل التنكير في قوله: (اسْتَوْقَدَ نَارًا) على التعظيم والتهويل، وأن يجعل الإسناد في "أضاءت" للنار على المجاز، كما سبق).[1]

وفائدة هذه التعبير ذكرها ابن القيم[2] بقوله: (وتأمل قوله: ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ولم يقل بنارهم. ليطابق أول الآية. فإن النار فيها إشراق وإحراق. فذهب بما فيها من الإشراق- وهو النور- وأبقى عليهم ما فيها من الإحراق، وهو النارية وتأمل كيف قال: «بنورهم» ولم يقل بضوئهم، مع قوله: فَلَمَّا أَضاءَتْ ما حَوْلَهُ لأن الضوء هو زيادة في النور. فلو قال: ذهب الله بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة فقط، دون الأصل. فلما كان النور أصل الضوء كان الذهاب به ذهابا بالشيء وزيادته.

وأيضا فإنه أبلغ في النفي عنهم، وأنهم من أهل الظلمات، الذين لا نور لهم.

وأيضا فإن الله تعالى سمّى كتابه نورا، ورسوله نورا، ودينه نورا، ومن

(١) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) (٢/ ٢٣٨)

(٢) سبقت ترجمته (ص٢٧٧)

أسمائه النور، والصلاة نور، فذهابه سبحانه بنورهم: ذهاب بهذا كله).[1]

(١) التفسير القيم (ص: ١١٨)

المطلب الثالث

هلا قيل: ذهب الله بضوئهم، لقولهم (فلما أضاءت) ؟

فالجواب من وجوه: أولها: أن معنى (ذهب الله بنورهم) أي أطفأ نارهم فعبر بالنور لأنه المقصود من الاستيقاد.

ثانيها: أن اختيار لفظ النور دون الضوء ودون النار لأن لفظ النور أنسب، لأن الذي يشبه النار من الحالة المشبهة هو مظاهر الاسلام التي يظهرونها.(١)

ثالثها: أنه إنما قال: (بِنُورِهِمْ) والمذكور في أوّل الآية النار لأنّ النار شيئان النّور والحرارة فذهب نورهم وبقيت الحرارة عليهم.(٢)

(١) التحرير والتنوير (١ / ٣٠٩)

(٢) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١/ ١٦٠)

المطلب الرابع

لم جمع الضمير في قوله (بنورهم) مع كون الضمير في (ما حوله) مفردا.

والجواب: ذلك مراعاة للحال المشبهة وهي حال المنافقين لا للحال المشبه بها وهي حال المستوقد الواحد على وجه بديع في الرجوع إلى الغرض الأصلي وهو انطماس نور الايمان منهم، فهو عائد إلى المنافقين لا إلى (الذي) وهذا رجوع بديع.[1]

(١) التحرير والتنوير (١/ ٣١٠)

المطلب الخامس

ما موقع جملة (ذهب الله بنورهم) ؟

والجواب قد مر بيان ذلك عند الحديث عن (لما) وجوابها ويلخص ذلك ما ذكره ابن عاشور[1] بقوله: (جملة {ذهب الله بنورهم} جواب لمّا فيكون جمع ضمائر بنورهم وتركهم إخراجًا للكلام على خلاف مقتضى الظاهر إذ مقتضى الظاهر أن يقول ذهب الله بنوره وتركه، ولذلك اختير هنا لفظ النور عوضًا عن النار المبتدأ به، للتنبيه على الانتقال من التمثيل إلى الحقيقة ليدل على أن الله أذهب نور الإيمان من قلوب المنافقين، فهذا إيجاز بديع كأنه قيل فلما أضاءت ذهب الله بناره فكذلك ذهب الله بنورهم وهو أسلوب لا عهد للعرب بمثله فهو من أساليب الإعجاز.

وقريب منه قوله تعالى: {بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون قل أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون} [الزخرف: ٢٢ ٢٤] فقوله: {أرسلتم} حكاية لخطاب أقوام الرسل في جواب سؤال محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قومه بقوله: {أوَلو جئتكم} وبهذا يكون ما في هذه الآية موافقًا لما في الآية بعدها من قوله تعالى: {يجعلون أصابعهم في آذانهم} إذ يتعين رجوعه لبعض المشبه به دون المشبه.

وجوز صاحب الكشاف أن يكون قوله: {ذهب الله بنورهم} استئنافًا

(١) سبقت ترجمته (ص٢٧٣)

ويكون التمثيل قد انتهى عند قوله تعالى: {فلما أضاءت ما حوله} ويكون جواب لما محذوفًا دلت عليه الجملة المستأنفة وهو قريب مما ذكرته إلا أن الاعتبار مختلف..[1]

(١) التحرير والتنوير (١ / ٣٠٩)

المطلب السادس

ماو جه إسناد إذهاب النور إليه سبحانه وتعالى؟

والجواب: أسند إذهاب النور إليه سبحانه وتعالى ؛ لأنه حصل بلا سبب من ريح أو مطر أو إطفاء مطفئ. والعرب والناس يسندون الأمر الذي لم يتضح سببه لاسم الله تعالى كما في قوله (ويمدهم في طغيانهم)[١]

قال ابن القيم[٢] مبينا سر ذلك: (قال سبحانه وتعالى: ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ولم يقل: ذهب نورهم. وفيه سر بديع، وهو انقطاع سر تلك المعية الخاصة التي هي للمؤمنين من الله تعالى، فإن الله تعالى مع المؤمنين، و ٢: ١٥٣ (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) و ١٦: ١٢٨ (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ). فذهاب الله بذلك النور هو انقطاع المعية التي خصّ بها أولياءه، فقطعها بينه وبين المنافقين، فلم يبق عندهم بعد ذهاب نورهم ولا معهم، فليس لهم نصيب من قوله: ٩: ٤٠ (لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنا) ولا من ٢٦: ٦٣ (كَلَّا، إِنَّ مَعِي رَبِّي سَيَهْدِينِ).[٣]

---

(١) التحرير والتنوير (١ / ٣٠٩)

(٢) سبقت ترجمته (ص٢٧٧)

(٣) التفسير القيم = تفسير القرآن الكريم لابن القيم (ص: ١١٧) اجتماع الجيوش الاسلامية (٥٩-٦٠)

المبحث الخامس

قوله تعالى: (وتركهم في ظلمات لا يبصرون)

فيه مطالب:

المطلب الأول

ما معنى الترك في قوله: (وتركهم) ؟ وما عمل هذا الفعل فيما بعده؟

والجواب: الترك: التخلية، اترك هذا أي خله ودعه، وفي تضمينه معنى التصيير وتعديته إلى اثنين خلاف، الأصح جواز ذلك. ذكره أبو حيان.[1]

قال ابن عاشور[2]: (وحقيقة الترك مفارقة أحد شيئا كان مقارنا له في موضع وإبقاؤه في ذلك الموضع. وكثيرا ما يذكرون الحال التي ترك الفاعل المفعول عليها، وفي هذا الاستعمال يكثر أن يكون مجازا عن معنى صير أو جعل. قال النابغة[3]:

فلا تتركني بالوعيد كأنني ** إلى الناس مطلي به القار أجرب[4]

أي لا تصيرني بهذه المشابهة، وقول عنترة[5]:

---

(١) البحر المحيط في التفسير (١/ ١٢٢)

(٢) سبقت ترجمته (ص٢٧٣)

(٣) زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة، انظر الأعلام صفحة (٥٤/٣)

(٤) انظر ديوان النابغة الذبياني (٦/١) وخزانة الأدب (٤٦٧/٩)

(٥) عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية ابن قراد العبسي، انظر الأعلام صفحة (٩١/٥)

جـــادت عليـــه كـــل عـــين ثـــرة ** فتـــركن كـــل قـــرارة كالـــدرهم[١]

يريد صيرن، والأكثر أن يكنى به في هذا الاستعمال عن الزهادة في مفعوله كما في بيت النابغة، أو عن تحقيره كما في هذه الآية.

والفرق بين ما يعتبر فيه معنى صير حتى يكون منصوبه الثاني مفعولا، وما يعتبر المنصوب الثاني معه حالا، أنه إن كان القصد إلى الإخبار بالتخلية والتنحي عنه فالمنصوب الثاني حال وإن كان القصد أولا إلى ذلك المنصوب الثاني وهو محل الفائدة).[٢]

وبين ذلك الألوسي[٣] بقوله: (والترك في المشهور طرح الشيء كترك العصا من يده أو تخليته محسوسا كان أو غيره وإن لم يكن في يده كترك وطنه ودينه، وقال الراغب: ترك الشيء رفضه قصدا واختيارا أو قهرا واضطرارا. ويفهم من المصباح أنه حقيقة في مفارقة المحسوسات ثم استعير في المعاني، وفي كون الفعل من النواسخ الناصبة للجزأين لتضمينه معنى صير أم لا خلاف- والكل هنا محتمل- فعلى الأولى «هم» مفعوله الأول، وفي ظلمات مفعوله الثاني، ولا يُبْصِرُونَ صفة لظلمات بتقدير فيها أو حال من الضمير المستتر، أو من «هم» ولا يجوز أن يكون في ظلمات حالا، ولا

(١) انظر شرح المعلقات التسع (٢٢٧/١) وفيه (جادت عليه كل بكر حرة)، وأمالي القالي (٢٩٦/٢)

(٢) التحرير والتنوير (١/ ٣١١)

(٣) النحوي، اللغوي، المفسر: محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، أبو الثناء، شهاب الدين، ولد: سنة (١٢١٧هـ) وفاته: سنة (١٢٧٠هـ) انظر الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة تفسير والإقراء والنحو واللغة صفحة (٢٥٩٥)

يُبْصِرُونَ مفعولا ثانيا لأن الأصل في الخبر أن لا يكون مؤكدا وإن جوزه بعضهم وعلى الثاني «هم» مفعوله، وفِي ظُلُماتٍ لا يُبْصِرُونَ حالان مترادفان من المفعول أو متداخلان، فالأول من المفعول. والثاني من الضمير فيه أو فِي ظُلُماتٍ متعلق ب تَرَكَهُمْ ولا يُبْصِرُونَ حال.

فالمنصوب الثاني مفعول وهو في معنى الخبر فلا يحتمل واحد منهما غير ذلك معنى وإن احتمله لفظا).[1]

وعبارة الزمخشري[2]: (ترك: بمعنى طرح وخلى، إذا علق بواحد، كقولهم: تركه ترك ظبى ظله. فإذا علق بشيئين كان مضمناً معنى صير، فيجري مجرى أفعال القلوب كقول عنترة: فَتَرَكْتُهُ جَزَرَ السِّبَاعِ يَنُشْنَهُ.

ومنه قوله: (وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُماتٍ) أصله: هم في ظلمات، ثم دخل ترك فنصب الجزأين).[3]

قال الطيبي[4] شارحا ذلك: (قوله: (ترك ظبي ظله) أي: كناسه الذي يستظل به في شدة الحر، فيأتيه الصائد فيثيره فلا يعود إليه أبدًا، يضرب فيمن ترك الأمر تركًا لا يعود إليه أبدًا. قاله الميداني[5].

(١) روح المعاني (١/ ١٦٩)

(٢) سبقت ترجمته (ص٢٥٨)

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ٧٤)

(٤) سبقت ترجمته (ص٢٧٦)

(٥) اللغوي: أحمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم، أبو الفضل الميداني النيسابوري: وفاته: سنة (٥١٨هـ) انظر الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة تفسير والإقراء والنحو واللغة صفحة (٣١٥)

قوله: (فتركته جزر السباع ينشنه) تمامه:

..... ** مـا بـين قلـة رأسـه والمعصـم[١]

قبله:

فشـككت بـالرمح الطويـل ثيابـه ** لـيس الكـريم علـى القنـا بمجـرم

وروي: فتركنه بالنون، والضمير "للقنا" وفي رواية: يقضمن حسن بنانه والمعصم.

الجزر: جمع الجزيرة، وهي الشاة التي أعدت للذبح، والنوش: التناول، والقضم: الأكل بمقدم الأسنان. يقول: صيرته طعمة للسباع، أي: قتلته فجعلته عرضة للسباع حتى تناولته وأكلته بمقدم أسنانها.

قوله: (ومنه قوله: (وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ) يوهم أن تقدير الآية مقصور على هذا الوجه دون الأول، ولكن جاء في "الأمالي" عن ابن الحاجب: أن على الأول مفعول "ترك": "هم"، و (فِي ظُلُمَاتٍ) و (لاَّ يُبْصِرُونَ) حالان مترادفان من المفعول، فيقال: إن المصنف إنما ترك ذكره لظهوره، والوجه الثاني: لما كان متضمنا لفائدة التضمين وعلى قاعدة وأصل في الإعراب وهي: أن بعض الأفعال التي تقتضي مفعولين مبنية على أصل الأخبار.

وقال ابن الحاجب[٢]: (وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ) كقولك:

---

(١) انظر خزانة الأدب (١٦٨/٩) والحماسة المغربية (٥٨٤/١)

(٢) النحوي، اللغوي، المقرئ: عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو الدويني الأصل الاسنائي المولد المالكي، المعروف بابن الحاجب. ولد: سنة (٥٧٠هـ) وفاته: =

صيرت زيدًا عالمًا فاضلاً، لأنها في معنى الأخبار، فكما جاز تعدد الأخبار جاز تعددها، ويجوز أن يكون الأول هو المفعول، والثاني حالاً من الضمير في قوله "تركهم" أي: تركهم مستقرين في ظلماتٍ في حال كونهم لا يبصرون، ويجوز أن يكون الأول حالاً، والثاني هو المفعول، أي: صيرهم غير مبصرين في حال كونهم في ظلمات)[1].

=

سنة (٦٤٦هـ) انظر الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة تفسير والإقراء والنحو واللغة صفحة (١٥٢٠)

(١) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) (٢/ ٢٤٠)

المطلب الثاني

لم حذف مفعول (لا يبصرون) ؟

والجواب: أنه من قبيل المتروك الذي لا يلتفت إلى إخطاره بالبال لا من قبيل المقدر المنوي كأن الفعل غير متعد أصلاً.[١]

وبنحو ذلك أجاب ابن عادل[٢] حيث قال: (فإن قيل: لم حذف المفعول من «يبصرون» ؟

فالجواب: أنه من قبيل المَتْرُوك الذي لا يلتفت إلى إخطاره بِالبَالِ، لا من قبيل المقدّر المَنْوِيّ كأنّ الفعل غير متعدٍّ أصلاً).[٣]

قال البيضاوي[٤]: (ومفعول لاَّ يُبْصِرُونَ من قبيل المطروح المتروك فكأن الفعل غير متعد).[٥]

وهذا الحذف له علة بيانية بينها أبو حيان بقوله: (ولم يذكر مفعول لا

---

(١) التفسير الكبير (٢/ ٣١٤)

(٢) المفسر: عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي، أبو حفص، سراج الدين. وفاته: سنة (٨٨٠هـ) انظر الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة تفسير والإقراء والنحو واللغة صفحة (١٧٦٢)

(٣) اللباب في علوم الكتاب (١/ ٣٨٠)

(٤) النحوي، المفسر: عبد الله ابن عمر بن محمد بن علي الشيرازي البيضاوي، أبو سعيد ناصر الدين. وفاته: سنة (٦٨٥هـ) انظر الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة تفسير والإقراء والنحو واللغة صفحة (١٣٧٨)

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٥٠)

يبصرون، ولا ينبغي أن ينوى، لأن المقصود نفي الإبصار عنهم لا بالنسبة إلى متعلقه).[1]

وبين ذلك ابن عاشور[2] بقوله: (ومفعول لا يبصرون محذوف لقصد عموم نفي المبصرات فتنزل الفعل منزلة اللازم ولا يقدر له مفعول كأنه قيل لا إحساس بصر لهم، كقول البحتري[3]:

شـجو حسـاده وغـيظ عـداه ** أن يـرى مبصـر ويسـمع واع)[4][5]

(١) البحر المحيط في التفسير (١/ ١٣٢)

(٢) سبقت ترجمته (ص٢٧٣)

(٣) الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي، أبو عبادة البحتري ولد: سنة (٢٠٦هـ) وفاته: سنة (٢٨٤هـ) انظر الأعلام صفحة (١٢١/٨)

(٤) التحرير والتنوير (١/ ٣١٢)

(٥) انظر نهاية الأرب في فنون الأدب (٦٥/٧) ومعاهد التنصيص على شواهد التلخيص (٢٣٢/١)

المطلب الثالث

لم جمع ظلمات ولم يأت بها مفردة؟

والجواب على ذلك ذكره ابن عاشور[١] بقوله: جمع ظلمات لقصد بيان شدة الظلمة كقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾﴾ الأنعام: ٦٣ وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (الظلم ظلمات يوم القيامة)[٢]

فان الكثرة لما كانت في العرف سبب القوة أطلقوها على مطلق القوة وإن لم يكن تعدد ولا كثرة مثل لفظ كثيرة كقوله تعالى ﴿وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ الفرقان (١٤) ومنه ذكر ضمير الجمع للتعظيم، الواحد، وضمير المتكلم ومعه غيره للتعظيم، وصيغة الجمع من ذلك القبيل.

قيل لم يرد في القرآن ذكر الظلمة مفردا، والجواب: لعل لفظ ظلمات أشهر إطلاقاً في فصيح الكلام فإن التعدد مقصود، ولكن بلاغة القرآن وكلام الرسول عليه السلام لا تسمح باستعمال جمع غير مراد به فائدة زائدة على لفظه المفرد، ويتعين في هذه الآية أن جمع (ظلمات) أشير به إلى أحوال من أحوال المنافقين كل حالة منها تصلح لأن تشبه بالظلمة وتلك هي حالة الكفر، وحالة الكذب، وحالة الاستهزاء بالمؤمنين، وما يتبع تلك الأحوال من آثار النفاق.

---

(١) سبقت ترجمته (ص٢٧٣)

(٢) رواه البخاري باب الظلم ظلمات يوم القيامة برقم (٢٤٤٧) ومسلم باب تحريم الظلم بزيادة (إن) برقم (٢٥٧٩)

وهذا التمثيل تمثيل لحال المنافقين في ترددهم بين مظاهر الإيمان وبواطن الكفر فوجه الشبه هو ظهور أمر نافع ثم انعدامه قبل الانتفاع به، فإن في إظهارهم الإسلام مع المؤمنين صورة من حسن الإيمان وبشاشته لأن للإسلام نوراً وبركة ثم لا يلبثون أن يرجعوا عند خلوهم بشياطينهم فيزول عنهم ذلك ويرجعوا في ظلمة الكفر أشد مما كانوا عليه لأنهم كانوا في كفر فصاروا في كفر وكذب وما يتفرغ عن النار صار أشد حيرة منه في أول الأمر لأن ضوء النار قد عود بصره فيظهر أثر الظلمة في المرة الثانية أقوى ويرسخ الكفر فيهم وبهذا تظهر نكتة البيان بجملة لا يبصرون لتصوير حال من انطفأ نوره بعد أن استضاء به.[1]

والأحوال التي أشير إليها بالجمع بينها أبو السعود[2] بقوله: (والمعنى أن حالهم العجيبة التي هي اشتراؤهم الضلالة التي هي عبارة عن ظلمتي الكفر والنفاق المستتبعين لظلمة سخط الله تعالى وظلمة يوم القيامة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم وظلمة العقاب السرمدي بالهدى الذي هو النور الفطري المؤيد بما شاهدوه من دلائل الحق أو بالهدى الذي كانوا حصلوه من التوراة حسبما ذكر كحال من استوقد نارا عظيمة حتى يكاد ينتفع بها فأطفأها الله تعالى وتركه في ظلمات هائلة لا يتسنى فيها الإبصار)[3]

(١) التحرير والتنوير (١ / ٣١٢)

(٢) سبقت ترجمته (ص٢٥٧)

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (١/ ٥١)

ولهذا الجمع فائدة بيانية ذكرها ابن القيم[١] بقوله: (تأمل كيف قال الله تعالى: ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ فوحده، ثم قال: وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُماتٍ فجمعها. فإن الحق واحد، وهو صراط الله المستقيم، الذي لا صراط يوصل إليه سواه، وهو عبادة الله وحده لا شريك له بما شرعه على لسان رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا بالأهواء والبدع، وطرق الخارجين عما بعث الله به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من الهدى ودين الحق، بخلاف طرق الباطل. فإنها متعددة متشعبة. ولهذا يفرد الله سبحانه الحق ويجمع الباطل، كقوله تعالى: ٢: ٢٥٧ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُماتِ وقال تعالى: ٦: ١٥٣ وَأَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ فجمع سبيل الباطل، ووحد سبيل الحق. ولا يناقض هذا قوله تعالى: ٥: ١٦ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ فإن تلك هي طرق مرضاته التي يجمعها سبيله الواحد، وصراطه المستقيم. فإن طرق مرضاته كلها ترجع إلى صراط واحد وسبيل واحد، وهي سبيله التي لا سبيل إليه إلا منها.

وقد صح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه: «خط خطا مستقيما، وقال: هذا سبيل الله، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله، وقال: هذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ قوله تعالى: وَأَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ. ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ).[٢]

---

(١) سبقت ترجمته (ص٢٧٧)

(٢) التفسير القيم = تفسير القرآن الكريم لابن القيم (ص: ١١٩) واجتماع الجيوش

المطلب الرابع

ما وجه الشبه الوارد في هذا المثال ؟ ولماذا أجمله؟

والجواب عن ذلك ذكره ابن عاشور[1] بقوله: (قد أجمل وجه الشبه في تشبيه حال المنافقين اعتماداً على فطنه السامع لأنه يمحضه من مجموع ما تقدم من شرح حالهم ابتداء من قوله ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ البقرة: (٨)

إلخ ومما يتضمنه المثلان من الإشارة إلى وجوه المشابهة بين أجزاء أحوالهم وأجزاء الحالة المشبه بها، فإن إظهارهم الإيمان بقولهم ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ البقرة (١١) وقولهم عند لقاء المؤمنين: ﴿ ءَامَنَّا ﴾ البقرة (١٤) أحوال ومظاهر حسنة تلوح على المنافقين حينما يحضرون مجلس النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحينما يتظاهرون بالإسلام والصلاة والصدقة مع المسلمين ويصدر منهم طيب القول وقويم السلوك وتشرق عليهم الأنوار النبوية فيكاد نور الإيمان يخترق إلى نفوسهم ولكن سرعان ما يعقب تلك الحالة الطيبة حالة تضادها عند انفضاضهم عن تلك المجالس الزكية وخلوصهم إلى بطانتهم من كبرائهم أو من أتباعهم فتعاودهم الأحوال الذميمة من مزاولة الكفر وخداع المؤمنين والحقد عليهم والاستهزاء بهم ووصفهم بالسفه، مثل ذلك التظاهر وذلك الانقلاب بحال الذي استوقد ناراً ثم ذهب عنه نورها.

=

الاسلامية (٦١-٦٢)

(١) سبقت ترجمته (ص٢٧٣)

ومن بدائع هذا التمثيل أنه مع ما فيه من تركيب الهيأة المشبه بها ومقابلتها للهيأة المركبة من حالهم هو قابل لتحليله بتشبيهات مفردة لكل جزء من هيأة أحوالهم بجزء مفرد من الهيأة المشبه بها فشبه استماعهم القرآن باستيقاد النار، ويتضمن تشبيه القرآن في إرشاد الناس إلى الخير ولاحق بالنار في إضاءة المسالك للسالكين، وشبه رجوعهم إلى الكفر بذهاب نور النار، وشبه كفرهم بالظلمات، ويشبهون بقوم انقطع إبصارهم.[1]

(١) التحرير والتنوير (١ / ٣١٢)

المطلب الخامس

ما الذي تفيده هذه الجملة: (وتركهم في ظلمات لا يبصرون) ؟

والجواب عن ذلك ذكره ابن عاشور[1] بقوله: هذه الجملة تتضمن تقرير المضمون ذهب الله بنورهم لأن من ذهب نوره لقي في ظلمة لايبصر، والقصد منه زيادة إيضاح الحالة التي صارو إليها، فان للدلالة الصريحة من الارتسام في ذهن السامع ما ليس للدلالة الضمية، فان قوله (ذهب الله بنورهم) يفيد أنهم لما استوقدوا ناراً فانطفأت انعدمت الفائدة وخابت المساعي ولكن قد يذهل السامع عما صاروا إليه عند هاته الحالة فيكون قوله بعد ذلك (وتركهم في ظلمات لا يبصرون) تذكيراً بذلك وتنبيها إليه فانهم لا يقصدون من البيان إلا شدة تصوير المعاني ولذلك يطنبون ويشبهون ويمثلون ويصفون المعرفة ويأتون بالحال ويعددون الأخبار والصفات فهذا إطناب بديع.

وتفيد هذه الجملة أيضاً أنهم لم يعودوا إلى الاستنارة من بعد على ما في قوله (وتركهم) من إفادة تحضيرهم، وما في جمع ظلمات من إفادة شدة الظلمة، وهي فائدة زائدة على ما استفيد ضمناً من جملة (ذهب الله بنورهم) وما يقتضيه جمع ظلمات من تقدير تشبيهات ثلاثة لضلالات ثلاث من ضلالاتهم، وبهذا الاعتبار الزائد على تقرير مضمون الجملة قبلها عطفت على الجملة ولم تفصل).[2]

---

(١) سبقت ترجمته (ص٢٧٣)

(٢) التحرير والتنوير (١ / ٣١٢)

قال الألوسي[١] مبينا ذلك: (وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُماتٍ لا يُبْصِرُونَ عطف على قوله تعالى: ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وهو أوفى بتأدية المراد فيستفاد منه التقرير لانتفاء النور بالكلية تبعا لما فيه من ذكر الظلمة وجمعها وتنكيرها، وإيراد لا يُبْصِرُونَ وجعل الواو للحال بتقدير قد مع ما فيه يقتضي ثبوت الظلمة قبل ذهاب النور ومعه، وليس المعنى عليه).[٢]

وعبارة ابن القيم[٣] في ذلك هي: (قيل: إن هذا مثل للمنافقين وما يوقدونه من نار الفتنة التي يوقعونها بين أهل الإسلام، ويكون بمنزلة قول الله تعالى: ٥: ٦٤ كُلَّما أَوْقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ

ويكون قوله تعالى: ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ مطابقا لقوله تعالى «أَطْفَأَهَا اللَّهُ» ويكون تخييبهم وإبطال ما راموه: هو تركهم في الظلمات والحيرة لا يهتدون إلى التخلص مما وقعوا فيه، ولا يبصرون سبيلا، بل هم صم بكم عمي.

وهذا التقدير- وإن كان حقا- ففي كونه مرادا بالآية نظر. فإن السياق إنما قصد لغيره، ويأباه قوله تعالى: فَلَمَّا أَضاءَتْ ما حَوْلَهُ وموقد نار الحرب لا يضيء ما حوله أبدا، ويأباه قوله تعالى: ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وموقد نار الحرب لا نور له. ويأباه قوله تعالى: وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُماتٍ لا يُبْصِرُونَ وهذا يقتضي أنهم انتقلوا من نور المعرفة والبصيرة إلى ظلمة الشك والكفر.

(١) النحوي، اللغوي، المفسر: محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، أبو الثناء، شهاب الدين، ولد: سنة (١٢١٧هـ) وفاته: سنة (١٢٧٠هـ) انظر الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة تفسير والإقراء والنحو واللغة صفحة (٢٥٩٥)

(٢) روح المعاني (١/ ١٦٩)

(٣) سبقت ترجمته (ص٢٧٧)

قال الحسن[1]: هو المنافق، أبصر ثم عمي، وعرف ثم أنكر. ولهذا قال: فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ أي لا يرجعون إلى النور الذي فارقوه. وقال تعالى في حق الكفار: ٢: ١٧١ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ فسلب العقل عن الكفار، إذ لم يكونوا من أهل البصيرة والإيمان، وسلب الرجوع عن المنافقين، لأنهم آمنوا ثم كفروا فلم يرجعوا إلى الإيمان.[2]

(١) سبقت ترجمته (ص٢٦٢)

(٢) التفسير القيم = تفسير القرآن الكريم لابن القيم (ص: ١١٩) اجتماع الجيوش الاسلامية (٦٢-٦٣)

المبحث السادس

قوله تعالى: (صم بكم عمي فهم لا يرجعون)

فيه مطالب:

المطلب الأول

ما معنى قوله: (صم بكم عمي) ؟

والجواب عن ذلك بكون بأن ابن الجوزي[١] عدد الأقوال الواردة في بيان المراد بذلك فقال: (قوله تعالى: صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ. الصمم: انسداد منافذ السمع، وهو أشد من الطرش.

وفي البكم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الخرس، قاله مقاتل[٢]، وأبو عبيد[٣]، وابن فارس[٤]. والثاني: أنه عيب في اللسان لا يتمكن معه من النطق، وقيل:

(١) النحوي، اللغوي، المفسر، المقرئ: عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي القرشي التميمي البغدادي الحنبلي المشهور بابن الجوزي، أبو الفرج. ولد: سنة (٥١٠هـ) وفاته: سنة (٥٩٧هـ) انظر الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة تفسير والإقراء والنحو واللغة صفحة (١١٦٨)

(٢) المفسر: مقاتل بن حيان، أبو بسطام النبطي البلخي الخراز، وهو ابن داول دوز وهو بالفارسي الخراز، (ت١٥٠هـ) انظر الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة تفسير والإقراء والنحو واللغة صفحة (٢٦٧٦)

(٣) النحوي، اللغوي، المقرئ: القاسم بن سلام بن عبد الله، أبو عبيد الهروي، الأزدي الخزاعي بالولاء، الخرساني البغدادي. ولد: سنة (١٥٧هـ) وفاته: سنة (٢٢٤هـ) انظر الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة تفسير والإقراء والنحو واللغة صفحة (١٨٣٨)

(٤) النحوي، اللغوي، المفسر: أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الغازي

إن الخرس يحدث عنه. والثالث: أنه عيب في الفؤاد يمنعه أن يعي شيئاً فيفهمه، فيجمع بين الفساد في محل الفهم ومحل النطق.).[1]

وفسر ذلك الماوردي[2] بقوله: (قوله تعالى: {صَمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ} وهذا جمع: أصم، وأبكم، وأعمى، وأصل الصَّمَمُ الإنسداد، يقال قناة صماء، إذا لم تكن مجوفة، وصممت القارورة، إذا سددتها، فالأصم: من انسدَّتْ خروق مسامعه.

أما البَكَمُ، ففيه أربعة أقاويل: أحدها: أنه آفة في اللسان، لا يتمكن معها من أن يعتمد على مواضع الحروف. والثاني: أنه الذي يولد أخرس. والثالث: أنه المسلوب الفؤاد، الذي لا يعي شيئاً ولا يفهمه. والرابع: أنه الذي يجمع بين الخَرَس وذهاب الفؤاد.

ومعنى الكلام، أنهم صمٌّ عن استماع الحق، بكم عن التكلم به، عُمْيٌ عن الإبصار له، رَوَى ذلك قتادة، {فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ} يعني إلى الإسلام.[3]

وعبارة الألوسي[4] في بيان ذلك: (قوله: صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ

=

القزويني، أبو الحسين. ولد: سنة (٣٢٩هـ) وفاته: سنة (٣٩٥هـ) انظر الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة تفسير والإقراء والنحو واللغة صفحة (٢٥٠)

(١) زاد المسير في علم التفسير (١/ ٣٧)

(٢) اللغوي، المفسر: علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردي البصري الشافعي. ولد: سنة (٣٦٤هـ) وفاته: سنة (٤٥٠هـ) انظر الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة تفسير والإقراء والنحو واللغة صفحة (١٦٦٢)

(٣) النكت والعيون (١/ ٨١)

(٤) سبقت ترجمته (ص٣٠٢)

الأوصاف جموع كثرة على وزن فعل وهو قياس في جمع فعلاء، وأفعل الوصفين سواء تقابلا- كأحمر وحمراء- أم انفردا لمانع في الخلقة- كغرل ورتق- فإن كان الوصف مشتركا ولكن لم يستعملا على نظام أحمر وحمراء- كرجل أليّ، وامرأة عجزاء- فالوزن فيه سماعي،

والصمم داء في الأذن يمنع السمع، وقال الأطباء: هو أن يخلق الصماخ بدون تجويف يشتمل على الهواء الراكد الذي يسمع الصوت بتموجه فيه أو بتجويف لكن العصب لا يؤدي قوة الحس فإن أدى بكلفة سمي عندهم طرشا، وأصله من الصلابة أو السد، ومنه بقولهم قناة صماء وصممت القارورة

والبكم الخرس وزنا ومعنى- وهو داء في اللسان يمنع من الكلام- وقيل: الأبكم هو الذي يولد أخرس، وقيل: الذي لا يفهم شيئا ولا يهتدي إلى الصواب فيكون إذ ذاك داء في الفؤاد لا في اللسان،

والعمى عدم البصر عما من شأنه أن يكون بصيرا، وقيل: ظلمة في العين تمنع من إدراك المبصرات، ويطلق على عدم البصيرة مجازا عند بعض وحقيقة عند آخرين،

وهي أخبار لمبتدأ محذوف هو ضمير المنافقين أو خبر واحد وتؤول إلى عدم قبولهم الحق وهم وإن كانوا سمعاء الآذان فصحاء الألسن بصراء الأعين إلا أنهم لما لم يصيخوا للحق- وأبت أن تنطق بسائره ألسنتهم ولم يتلمحوا أدلة الهدى المنصوبة في الآفاق والأنفس-).[1]

(١) روح المعاني (١/ ١٧١)

المطلب الثاني

ما إعراب قوله (صم بكم عمي) ؟

والجواب عن ذلك يكون بنحو ما ذكره الزجاج حيث قال: (وقوله عزَّ وجلَّ (صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) رفع على خبر الابتداءِ، كأنه قيل: هؤلاءِ الذين قصتهم هذه القصة (صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (١٨).

ويجوز في الكلام صماً بكماً عمياً، على: وتركهم صُمًّا بكماً عُمْياً. ولكن المصحف لا يخالف بقراءة لا تُرْوى، والرفع أيضاً أقوى في المعنى. وأجزل في اللفظ).[1]

وعبارة الطبري في بيان ذلك: (وإذ كان تأويل قول الله جل ثناؤه: "ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون"، هو ما وصفنا - من أن ذلك خبر من الله عما هو فاعل بالمنافقين في الآخرة، عند هتك أستارهم، وإظهاره فضائح أسرارهم، وسلبه ضياء أنوارهم، من تركهم في ظلم أهوال يوم القيامة يترددون، وفي حنادسها لا يبصرون - فبين أن قوله جل ثناؤه: "صم بكم عمي فهم لا يرجعون" من المؤخر الذي معناه التقديم،

وأن معنى الكلام: أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين، صم بكم عمي فهم لا يرجعون، مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون، أو كمثل صيب من السماء.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٩٣)

وإذ كان ذلك معنى الكلام: فمعلوم أن قوله: "صم بكم عمي"، يأتيه الرفع من وجهين، والنصب من وجهين: فأما أحد وجهي الرفع: فعلى الاستئناف، لما فيه من الذم. وقد تفعل العرب ذلك في المدح والذم، فتنصب وترفع، وإن كان خبرا عن معرفة، كما قال الشاعر:

لا يبعدن قومي الذين هم *** سم العداة وآفة الجزر

النازلين بكل معترك *** والطيبين معاقد الأزر[1]

فيروي: "النازلون" و"النازلين"، وكذلك "الطيبون" و"الطيبين"، على ما وصفت من المدح.

والوجه الآخر: على نية التكرير من"أولئك"، فيكون المعني حينئذ: أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين، أولئك صم بكم عمي فهم لا يرجعون.

وأما أحد وجهي النصب: فأن يكون قطعا مما في"مهتدين" من ذكر"أولئك"، لأن الذي فيه من ذكرهم معرفة، والصم نكرة.

والآخر: أن يكون قطعا من"الذين"، لأن"الذين" معرفة و"الصم" نكرة.

وقد يجوز النصب فيه أيضا على وجه الذم، فيكون ذلك وجها من النصب ثالثا.

فأما على تأويل ما روينا عن ابن عباس[2] من غير وجه رواية علي بن

(١) انظر خزانة الأدب (٤١/٥) والحماسة البصرية (٢٢٧/١)

(٢) سبقت ترجمته ص٢٧٠.

أبي طلحة[1] عنه، فإنه لا يجوز فيه الرفع إلا من وجه واحد، وهو الاستئناف.

وأما النصب فقد يجوز فيه من وجهين: أحدهما: الذم، والآخر: القطع من"الهاء والميم" اللتين في"تركهم"، أو من ذكرهم في"لا يبصرون".

وقد بينا القول الذي هو أولى بالصواب في تأويل ذلك. والقراءة التي هي القراءة، الرفع دون النصب. لأنه ليس لأحد خلاف رسوم مصاحف المسلمين. وإذا قرئ نصبا كانت قراءة مخالفة رسم مصاحفهم.

قال أبو جعفر[2]: وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن المنافقين: أنهم باشترائهم الضلالة بالهدى لم يكونوا للهدى والحق مهتدين، بل هم صم عنهما فلا يسمعونهما، لغلبة خذلان الله عليهم، بكم عن القيل بهما فلا ينطقون بهما - والبكم: الخرس، وهو جماع أبكم - عمي عن أن يبصروهما فيعقلوهما، لأن الله قد طبع على قلوبهم بنفاقهم فلا يهتدون).[3]

قال ابن عاشور[4] مبينا ذلك: (قوله: صم بكم عمي فهم لا يرجعون). أخبار لمبتدأ محذوف هو ضمير يعود إلى ما عاد إليه ضمير (مثلهم) [البقرة: ١٧] ولا يصح أن يكون عائدا على (الذي استوقد) [البقرة: ١٧]. لأنه لا يلتئم

---

(١) المفسر: علي بن سالم -أبي طلحة - بن المخارق الهاشمي بن الولاء، أبو الحسن الشامي، ويقال: أبو محمد. وفاته: سنة (١٤٣هـ) انظر الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة تفسير والإقراء والنحو واللغة صفحة (١٦٠٠)

(٢) سبقت ترجمته ص٢٥٩.

(٣) جامع البيان ت شاكر (١/ ٣٢٩)

(٤) سبقت ترجمته ص٢٧٣

به أول التشبيه وآخره، لأن قوله: (كمثل الذي استوقد نارا) يقتضي أن المستوقد ذو بصر وإلا لما تأتى منه الاستيقاد،

وحذف المسند إليه في هذا المقام استعمال شائع عند العرب إذا ذكروا موصوفا بأوصاف أو أخبار جعلوه كأنه قد عرف للسامع فيقولون: فلان أو فتى أو رجل أو نحو ذلك على تقدير هو فلان، ومنه قوله تعالى: جزاء من ربك عطاء حسابا رب السماوات والأرض وما بينهما [النبأ: ٣٦، ٣٧] التقدير هو رب السماوات عدل عن جعل (رب) بدلا من ربك، وقول الحماسي:

سأشكر عمرا إن تراخت منيتي *** أيادي لم تمنن وإن هي جلت

فتى غير محجوب الغنى عن صديقه *** ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت[1]

وسمى السكاكي[2] هذا الحذف «الحذف الذي اتبع فيه الاستعمال الوارد على تركه»).[3]

(١) انظر شرح ديوان الحماسة (٢/٢٦٦) للتبريزي والحماسة المغربية (١/٢٩٦)

(٢) النحوي، اللغوي: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي، أبو يعقوب، سراج الدين. ولد: سنة (٥٥٥هـ) وفاته: سنة (٦٢٦) انظر الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة تفسير والإقراء والنحو واللغة صفحة (٢٩٣٥)

(٣) التحرير والتنوير (١/ ٣١٣)

المطلب الثالث

ما معنى قوله (فهم لا يرجعون) ؟

الكلام عليها من وجوه:

الأول: أنهم لا يرجعون عما تقدم ذكره وهو التمسك بالنفاق الذي لأجل تمسكهم به وصفهم الله تعالى بهذه الصفات فصار ذلك دلالة على أنهم يستمرون على نفاقهم أبداً.

الثاني: أنهم لا يعودون إلى الهدى بعد أن باعوه، وعن الضلالة بعد أن اشتروها.

الثالث: أراد أنهم بمنزلة المتحيرين الذي بقوا خامدين في مكانهم لا يبرحون، ولا يدرون أيتقدمون أم يتأخرون وكيف يرجعون إلى حيث ابتدأ أو منه.[1]

ووجه رابع ذكره ابن عاشور[2] بقوله: (قوله: (فهم لا يرجعون) تفريع على جملة (صم بكم عمي) لأن من اعتراه هذه الصفات انعدم منه الفهم والافهام وتعذر طمع رجوعه إلى رشد أو صواب، والرجوع الانصراف من مكان حلول ثان إلى مكان حلول أول، وهو هنا مجاز في الاقلاع عن الكفر.[3]

---

(١) التفسير الكبير (١ / ٧٧)

(٢) سبقت ترجمته ص٢٧٣

(٣) التحرير والتنوير (١ / ٣١٤)

قال ابن الجوزي[١] مبينا جملة من معاني قوله تعالى: فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ: (فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: لا يرجعون عن ضلالتهم، قاله قتادة[٢] ومقاتل[٣]. والثاني: لا يرجعون إِلى الإسلام، قاله السدي. والثالث: لا يرجعون عن الصمم والبكم والعمى،

وإنما أضاف الرجوع إليهم، لأنهم انصرفوا باختيارهم، لغلبة أهوائهم عن تصفح الهدى بآلات التصفح، ولم يكن بهم صمم ولا بكم حقيقة، ولكنهم لما التفتوا عن سماع الحق والنطق به كانوا كالصّم البكم. والعرب تسمي المعرض عن الشيء: أعمى، والملتفت عن سماعه: أصمّ)،[٤]

وعبارة الزمخشري[٥]: (معنى (لا يَرْجِعُونَ): أنهم لا يعودون إلى الهدى بعد أن باعوه، أو عن الضلالة بعد أن اشتروها، تسجيلا عليهم بالطبع. أو أراد أنهم بمنزلة المتحيرين).

قال الطيبي[٦] شارحا: (قوله: (معنى (لا يَرْجِعُونَ)) أي: (لا يَرْجِعُونَ) متعلقه محذوف. الأساس: رجع إلى رجوعا ومرجعا ورجعى، ورجعته أنا

---

(١) سبقت ترجمته ص٣١٦

(٢) سبقت ترجمته ص٢٧٠

(٣) سبقت ترجمته ص٢٧٠

(٤) زاد المسير في علم التفسير (١/ ٣٧)

(٥) سبقت ترجمته ص٢٥٨

(٦) سبقت ترجمته ص٢٧٦

رجعا. فإما أن يقدر المتعلق ((إلى))، فالرجوع إذن بمعنى الإعادة إلى ما كان، فالمعني: ((لا يعودون إلى الهدي)) ؛ لأن المراد تمكنهم من الهدي، وإما أن يقدر ((عن)) فالمعنى: ((لا يرجعون عن الضلالة))، فإن المتمسك بالشيء لا يرجع عنه، وإما أن لا يقدر شيء، ويترك على الإطلاق،

والوجهان المتقدمان مبنيان على أن وجه التشبيه في التمثيل مستنبط من قوله: (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى) [البقرة: ١٦] والوجه الأخير من قوله: (ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ)، المعني به قوله: ((إنهم غب الإضاءة، خبطوا في ظلمة، وتورطوا في حيرة)).

قوله: (تسجيلا عليهم بالطبع) اعلم أن في تفريعه هذا اللفظ على قوله: ((بعد أن باعوه)) أو ((بعد أن اشتروها)) وإيقاعه مفعولا له للقول المقدر، أي: قيل: فهم لا يرجعون، تسجيلا عليهم، دقيقة جليلة ولطيفة سنية، لأنه آذن به أن هذا القول أيضا متفرع على قوله تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى) [البقرة: ١٦] وتتميم لذلك المعنى، نحو قوله: (فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ) وقوله: (وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) ؛ لآن المشتري والبائع إذا بتا المبايعة بحيث لا يكون لأحدهما الخيار والرجوع إلى السلعة كتبا صكا على ذلك، ثم أثبت الحاكم سجله تأكيدا على تأكيد، فهذا هو معنى الطبع، لأن الطبع: تراكم الرين وتزايد في الكفر، فعلى هذا جملة التمثيل كالمعترضة بين التتميم أعني: (صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ) [البقرة: ١٨] والمتمم وهو قوله: (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ)

وعلى الوجه الثاني وهو قوله: ((أو أراد أنهم بمنزلة المتحيرين"، قوله:

(صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) كالتتميم لجملة التمثيل، ويمكن أن ينظر في الترشيح والتجريد والتتميم معنى الترقي ليشمل جميع شرائط التجارة؛ لأن المقصود من التجارة حصول الربح، وحفظ رأس المال، وهؤلاء في هذه الصفقة أضاعوا هاتين الطلبتين، فعلم من ذلك فقد اهتدائهم لطرق التجارة. ومن وقف على كونه دخيلاً في صنعة التجارة ربما اشتغل بالتلافي، ويرجع إلى البائع ويعتذر إليه ليرد رأس ماله، ويرجع عن الغبن الفاحش، وهؤلاء حرموا كل ذلك فدمروا).[1]

(١) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) (٢/ ٢٥٢)

المطلب الرابع

ما الذي يدل عليه قوله تعالى: (صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ) هل يدل على كونهم كذلك على الحقيقة ؟

والجواب: لا. ويبين المراد بالآية ما ذكره النسفي[1] حيث قال: (قوله: {صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ} أي: هم صم كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن الإصاخة إلى الحق مسامعهم وأبوا أن ينطقوا به ألسنتهم وان ينظروا ويتبصروا بعيونهم جعلوا كأنما إيفت مشاعرهم).[2]

قال الزجاج[3]: (مَن سمع فلم يعْمل قيل له أصم - كما قال جلَّ وعزَّ: (صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ). ليس لأنهم لَا يسْمعون ولكنهم صاروا - في ترك القبول بمنزلة من لا يسمع. قال الشاعر: أَصَمُّ عمَّا سَاءَهُ سَمِيع....[4] وهذا كما تقول للذي يخاطبك كثيراً وخطابه فارغ من الحجة: ما تكلمت بشيء، وما نطق بشيء فسمي مَن تكلم بما لا حجةَ له فيه، غير متكلم -فهم يُبْصِرون وَيسْمعُونَ إلا أنهم في أنهم لا يقبلون ولا يُفكَرُونَ فيما يسمعون، بمنزلة

(١) المفسر: عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، حافظ الدين أبو البركات. ولد سنة () وفاته: سنة (٧١٠هـ) انظر الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة تفسير والإقراء والنحو واللغة صفحة (١٣٢٧)

(٢) تفسير النسفي (١/ ٥٦) (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)

(٣) النحوي، اللغوي: إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل الزجاج النحوي، أبو إسحق. وفاته: سنة (٣١١هـ) انظر الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة تفسير والإقراء والنحو واللغة صفحة (٨٠)

(٤) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٣٦٩)

الصمّ).[١]

قال السمرقندي[٢] مبينا ذلك: (وتفسير الآية أنهم يتصاممون، حيث لم يسمعوا الحق ولم يتكلموا به، ولم يبصروا العبرة والهدى، فكأنهم صم بكم عمي، ولأن الله تعالى خلق السمع والبصر واللسان لينتفعوا بهذه الأشياء، فإذا لم ينتفعوا بالسمع والبصر صار كأن السمع والبصر لم يكن لهم. كما أن الله تعالى سمى الكفرة موتى حيث قال تعالى: أَوَمَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ [الأنعام: ١٢٢] يعني كافراً فهديناه وإنما سماهم موتى- والله أعلم- لأنه لا منفعة لهم في حياتهم، فكأن تلك الحياة لم تكن لهم، فكذلك السمع والبصر واللسان، إذا لم ينتفعوا بها فكأنها لم تكن لهم، فكأنهم صم بكم عمى فهم لا يرجعون، يعني لا يرجعون إلى الهدى.).[٣]

(١) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٧٨) بتصرف.

(٢) المفسر: نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، أبو الليث، الملقب بإمام الهدى. وفاته: سنة (٣٧٣هـ) انظر الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة تفسير والإقراء والنحو واللغة صفحة (٢٧٥٩)

(٣) بحر العلوم (١/ ٣١)

المطلب الخامس

هل هذا الأسلوب تشبيه أم استعارة؟

والجواب أن يقال هذا سؤال ذكره الزمخشري[1] وأجاب عنه فقال: (فان قلت: هل يسمى ما في الآية استعارة ؟

قلت: مختلف فيه، والمحققون على تسميته تشبيها بليغاً لا استعارة، لأن المستعار له مذكور وهم المنافقون)[2]

وقد بين ابن عاشور[3] هذا الجواب بقوله: (والإخبار عنهم بهذه الأخبار جاء على طريقة التشبيه البليغ شبهوا في انعدام آثار الإحساس منهم بالصم البكم العمي أي كل واحد منهم اجتمعت الصفات الثلاث وذلك شأن الأخبار الواردة بصيغة الجمع بعد مبتدأ هو اسم دال على جمع، فالمعنى كل واحد منهم كالأصم الأبكم الأعمى وليس المعنى على التوزيع فلا يفهم أن بعضهم كالأصم وبعضهم كالأبكم وبعضهم كالأعمى، وليس هو من الاستعارة عند محققي أهل البيان.

قال صاحب «الكشاف»: ((فإن قلت هل يسمى ما في الآية استعارة قلت مختلف فيه والمحققون على تسميته تشبيها بليغا لا استعارة لأن المستعار له مذكور وهم المنافقون)) اهـ

أي لأن الاستعارة تعتمد على لفظ المستعار منه أو المستعار له في

(١) سبقت ترجمته ص٢٥٨

(٢) الكشاف (١ / ١١٢)

(٣) سبقت ترجمته ص٢٧٣

جملة الاستعارة فمتى ذكرا معا فهو تشبيه، ولا يضر ذكر لفظ المستعار له في غير جملة الاستعارة لظهور أنه لولا العلم بالمستعار له في الكلام لما ظهرت الاستعارة ولذلك اتفقوا على أن قول ابن العميد[١]:

قامت تظللني من الشمس ** نفس أعز علي من نفسي

قامت تظللني ومن عجب ** شمس تظللني من الشمس[٢]

أن قوله شمس استعارة ولم يمنعهم من ذلك ذكر المستعار له قبل في قوله نفس أعز، وضميرها في قوله قامت تظللني وكذا إذا لفظ المستعار غير مقصود ابتناء التشبيه عليه لم يكن مانعا من الاستعارة كقول أبي الحسن ابن طباطبا[٣]:

لا تعجبوا من بلي غلالته ** قد زر أزراره على القمر[٤]

فإن الضمير لم يذكر ليبنى عليه التشبيه بل جاء التشبيه عقبه.[٥]

(١) محمد بن الحسين العميد بن محمد، أبو الفضل انظر الأعلام صفحة (٩٨/٦)

(٢) انظر نهاية الأرب في فنون الأدب (٥٦/٧) ومعاهد التنصيص (١١٣/٢)

(٣) محمد بن احمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم طباطبا، الحسني العلوي، أبو الحسن انظر الأعلام صفحة (٣٠٨/٥)

(٤) انظر معاهد التنصيص (١٢٩/٢) والمعجم المفصل في شواهد العربية (٥٤٢/٣)

(٥) التحرير والتنوير (١/ ٣١٣)

الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على خاتم رسل الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه. أما بعد:

ففي نهاية هذا البحث يجدر بي أن أذكر جملة من النتائج التي توصلت إليها والتي يمكن تلخيصها كالتالي:

أولًا: غزارة أسرار هذا المثل الناري وعمق معانيه وكثرة لطائفه وأسراره ومراميه.

ثانيًا: كان الرازي في تفسيره المسمى ب (التفسير الكبير) من أكثر المفسرين الذين تكلموا عن هذا المثل وبينوا كثيرا من لطائفه وأسراره ومعانيه.

ثالثًا: ضرورة الوقوف مع أمثال القرآن الكريم وقفات تأمل وتدبر ؛ لاستخراج اللطائف منها والمعاني وبعض الأسرار (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون).

رابعًا: تنوع تشبيهات القرآن الكريم لحال المنافقين، فمرة ضرب لهم مثلا ناريا ومرة ضرب لهم مثلا مائيا وفي تنوعهما حكم لا تحصى وفوائد لا تستقصى.

فهرس المراجع

١. الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٢. اجتماع الجيوش الإسلامية، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: عواد عبد الله المعتق، الناشر: مطابع الفرزدق التجارية - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م

٣. أحكام من القرآن الكريم لمحمد بن صالح العثيمين، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، مدار الوطن للنشر طبعة عام ١٤٢٥.

٤. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٥. أسرار البلاغة، المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة

٦. إعلام الموقعين عن رب العالمين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م

٧. الأعلام للزركلي، ط: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

٨. الأمالي = شذور الأمالي = النوادر، المؤلف: أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان (المتوفى: ٣٥٦هـ)، عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي، الناشر: دار الكتب المصرية، الطبعة: الثانية، ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦م

٩. الأمثال في القرآن، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مكتبة الصحابة - مصر-، المحقق: أبو حذيفة

إبراهيم بن محمد، الطبعة: الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

١٠. أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ.

١١. بحر العلوم، المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ) دار الفكر.

١٢. البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي، المحقق: صدقي محمد جميل، ط: دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.

١٣. البرهان في علوم القرآن، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، عدد الأجزاء: ٤

١٤. التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، ط: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ.

١٥. التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، ط: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦هـ.

١٦. تفسير الألوسي = روح المعاني، المحقق: علي عبد الباري عطية، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ه.

١٧. التَّفْسِيرُ البَسِيْط، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ

١٨. تفسير السمعاني، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ط: دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٩. تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٠ هـ

٢٠. التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ

٢١. تفسير الماوردي = النكت والعيون، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ط: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

٢٢. تفسير المنار لمحمد رشيد رضا، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م.

٢٣. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، ط: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

٢٤. جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٢٥. الجامع الصحيح المختصر، المؤلف: محمد بن إسماعيل البخاري، المتوفى: ٢٥٦ هـ، الناشر: دار الشعب - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧ م

٢٦. حاشيه الشهاب على تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي، ط: دار صادر - بيروت.

٢٧. الحماسة البصرية، المؤلف: علي بن أبي الفرج بن الحسن، صدر الدين، أبو الحسن البصري (المتوفى: ٦٥٩هـ)، المحقق: مختار الدين أحمد، الناشر: عالم الكتب - بيروت

٢٨. الحماسة المغربية مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب، المؤلف: أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجرّاوي التادلي (المتوفى: ٦٠٩هـ)، المحقق: محمد رضوان الداية، الناشر: دار الفكر المعاصر - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩١م

٢٩. خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٣٠. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، ط: دار القلم، دمشق.
٣١. دراسات في علوم القرآن، المؤلف: محمد بكر إسماعيل (المتوفى: ١٤٢٦هـ)، الناشر: دار المنار، الطبعة: الثانية ١٤١٩هـ-١٩٩٩م
٣٢. دَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر، المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ)، دراسة وتحقيق: (الفاتحة والبقرة) وَليد بن أحمد بن صَالِح الحُسَيْن، (وشاركه في بقية الأجزاء): إياد عبد اللطيف القيسي، الناشر: مجلة الحكمة، بريطانيا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م
٣٣. ديوان النابغة الذبياني، المؤلف: هو زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن مرّة بن عوف بن سعد، الذبياني، الغطفاني (٦٠٥ م)
٣٤. روح المعاني للألوسي، المحقق: علي عبد الباري عطية، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.
٣٥. زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، ط: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.
٣٦. سمط اللآلي في شرح أمالي القالي [هو كتاب شرح أمالي القالي / لأبي عبيد البكري؛ نسخه وصححه وحقق ما فيه وخرجه وأضاف إليه عبد العزيز الميمني]، المؤلف: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (المتوفى: ٤٨٧هـ)، نسخه وصححه ونقحه وحقق ما فيه واستخرجه من بطون دواوين العلم: عبد العزيز الميمني، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان
٣٧. شرح المعلقات التسع، المؤلف: منسوب لأبي عمرو الشيباني (ت ٢٠٦ هـ) ولا تصح نسبته ففي الكتاب نقول متأخرة عن زمن أبي عمرو وليس الأسلوب أسلوبه، تحقيق وشرح: عبد المجيد همو، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة:

الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

٣٨. شرح ديوان الحماسة للتبريزي، ط: دار القلم - بيروت.

٣٩. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦ هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

٤٠. غاية النهاية في أسماء رجالات القراءات أولي الرواية، لأبي الخير شمس الدين محمد بن محمد المعروف بابن الجزري، طبعة لطائف لنشر الكتب والرسائل العلمية، الكويت، الطبعة الأولى عام ١٤٤٢

٤١. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج، القسم الدراسي: د. جميل بني عطا، المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣م.

٤٢. القاموس المحيط، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

٤٣. الكشاف للزمخشري، ط: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.

٤٤. الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٤٥. اللباب في علوم الكتاب، المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م

٤٦. لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ

٤٧. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ.

٤٨. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت

٤٩. معاني القرآن، المؤلف: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ)، المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، الطبعة: الأولى

٥٠. معاني القرآن وإعرابه للزجاج، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، ط: عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

٥١. معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، المؤلف: عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد، أبو الفتح العباسي (المتوفى: ٩٦٣هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: عالم الكتب - بيروت

٥٢. المعجم المفصل في شواهد العربية، المؤلف: د. إميل بديع يعقوب الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

٥٣. المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: محمد سيد كيلاني، الناشر: دار المعرفة، مكان النشر لبنان.

٥٤. الموسوعة القرآنية لإبراهيم بن إسماعيل الأبياري، ط: مؤسسة سجل العرب، الطبعة: ١٤٠٥هـ.

٥٥. الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة «من القرن الأول إلى

المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائفهم»، جمع وإعداد: وليد بن أحمد الحسين الزبيري، إياد بن عبد اللطيف القيسي، مصطفى بن قحطان الحبيب، بشير بن جواد القيسي، عماد بن محمد البغدادي، الناشر: مجلة الحكمة، مانشستر - بريطانيا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

٥٦. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥، هـ - ١٩٩٥ م، عدد الأجزاء / ٨، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي

٥٧. نفحات من علوم القرآن، المؤلف: محمد أحمد محمد معبد (المتوفى: ١٤٣٠هـ)، الناشر: دار السلام - القاهرة، الطبعة: الثانية،: ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

٥٨. نهاية الأرب في فنون الأدب،المؤلف: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى: ٧٣٣هـ)، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ

٥٩. نواهد الأبكار وشوارد الأفكار = حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي، ط: جامعة أم القرى - كلية الدعوة وأصول الدين، المملكة العربية السعودية (٣ رسائل دكتوراة)، عام النشر: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٥م.

٦٠. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

Indexes and Sources

1-Al-Etqan Fi Oloum Al-Qur'an by Al-Suyuti, Editor: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, P: The Egyptian General Book Organization, Edition: 1394 AH / 1974 AD.

2-Ijtema' Al-Jyoush Al-Islamia, the author: Muhammad bin Abi Bakr bin Ayoub bin Saad Shams Al-Din Ibn Qayyim Al-Jawziya (died: 751 AH), Editing: Awwad Abdullah Al-Mu`taq, Publisher: Al-Farazdaq Commercial Printing Press - Riyadh, Edition: First, 1408 AH / 1988 AD.

3-Ahkam Min Al-Qur'an Al-Kareem by Muhammad bin Salih al-Uthaymeen, printed under the supervision of the Sheikh Muhammad bin Salih al-Uthaymeen Charitable Foundation, Madar al-Watan for Publishing, edition in 1425.

4-Irshad Al-Akl Al-Salem Ela Mazaya Al-Kitab Al-Kareem by Abu Al-Saud, P: Dar Ehyaa' Al-Turath Al-Arabi – Beirut.

5-Asrar al-Balaghah, the author: Abu Bakr Abd al-Qaher ibn Abd al-Rahman ibn Muhammad al-Farsi, originally, al-Jurjani al-Dar (died: 471 AH), read and commented on by: Mahmoud Muhammad Shakir, publisher: Al-Madani Press in Cairo, Dar Al-Madani in Jeddah.

6-I'lam Al-Moaq'en 'An Rab Al-Alamien, author: Muhammad bin Abi Bakr bin Ayoub bin Saad Shams al-Din Ibn Qayyim al-Jawziyya (died: 751 AH), Editing: Muhammad Abd al-Salam Ibrahim, publisher: Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Yarout, Edition: First, 1411 AH - 1991 AD.

7-Al-Alam Li Al-Zarkali, P: Dar Al-Ilm for Millions, Fifteenth Edition - May 2002 AD

8-Al-Amali = Shuthur Al-Amali = Al-Nwader, Author: Abu Ali Al-Qali, Ismail bin Al-Qasim bin Aydoun bin Harun bin Issa bin Muhammad bin Salman (died: 356 AH), concerned with its arrangement and arrangement: Muhammad Abdul-Jawad Al-Asma'i, publisher: Dar Al-Kutub Al-Masryah, edition The second: 1344 AH - 1926 AD.

9-Al-Amthal Fi Al-Qur'an, author: Muhammad ibn Abi Bakr ibn Ayoub ibn Saad Shams al-Din Ibn Qayyim al-Jawziyya (died: 751 AH), publisher: The Companions Library - Egypt, Editor: Abu Hudhayfa

Ibrahim ibn Muhammad, Edition: First 1406 AH - 1986 NS
10-Anwar Al-Tanzel Wa Asrar Al-Ta'wel by Al-Baydawi, Editor: Muhammad Abdul Rahman Al-Mara'ashli, P: Dar Ehyaa' Al-Turath Al-Arabi - Beirut, Edition: First - 1418 AH.
11-Bahr al-Uloom, author: Abu al-Layth Nasr bin Muhammad bin Ahmed bin Ibrahim al-Samarqandi (died: 373 AH), Dar al-Fikr.
12-Al-Bahr Al-Mohet fi Al-Tafsir by Abu Hayyan Al-Andalusi, Editor: Sidqi Muhammad Jamil, ed: Dar Al-Fikr - Beirut, Edition: 1420 AH.
13-Al-Burhan Fi Oloum Al-Qur'an, the author: Abu Abdullah Badr Al-Din Muhammad bin Abdullah bin Bahader Al-Zarkashi (died: 794 AH), the Editor: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, the first edition, 1376 AH - 1957 AD, publisher: Dar Ehyaa' Al-Kutub Al-Arabia Issa Al-Babi Al-Halabi and Partners, Number of Parts: 4
14-Al-Tahrir Wa Al-Tanwir by Taher Ben Achour, P: Tunisian Publishing House - Tunis, year of publication: 1984 AH.
15-Al-Tashil Li'oloum Al-Tanzel by Ibn Juzi Al-Kalbi, Editor: Dr. Abdullah Al-Khalidi, P: Dar Al-Arqam Bin Abi Al-Arqam Company - Beirut, Edition: First - 1416 AH.
16-Tafsir Al-Alusi = Ruh Al-Maani, Editor: Ali Abdel-Bari Attia, P: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut, Edition: First, 1415 AH.
17-Al-Tafsir Al-Baset, the author: Abu Al-Hasan Ali bin Ahmed bin Muhammad bin Ali Al-Wahidi, Al-Naysaburi, Al-Shafi'i (died: 468 AH), Editor: the origin of his Editing in (15) doctoral thesis at the University of Imam Muhammad bin Saud, then a scientific committee from the university wrote it And its coordination, Publisher: Deanship of Scientific Research - Imam Muhammad bin Saud Islamic University, Edition: First, 1430 A.H.
18-Tafsir Al-Samani, Editor: Yasser Bin Ibrahim and Ghoneim Bin Abbas Bin Ghoneim, P: Dar Al-Watan, Riyadh - Saudi Arabia, Edition: First, 1418 AH - 1997 AD.
19-Tafsir Al-Qur'an Al-Kareem (Ibn al-Qayyim), author: Muhammad ibn Abi Bakr ibn Ayoub ibn Saad Shams al-Din Ibn Qayyim al-Jawziyya (died: 751 AH), Editor: Office of Arabic and Islamic Studies and Research under the supervision of Sheikh Ibrahim Ramadan, publisher: Al-Hilal House and Library - Beirut , Edition:

First - 1410 A.H.
20-Al-Tafsir Al-Kabier, the author: Abu Abdullah Muhammad bin Omar bin Al-Hassan bin Al-Hussein Al-Taimi Al-Razi, nicknamed Fakhr Al-Din Al-Razi, Khatib Al-Rayy (died: 606 AH), publisher: Dar Ehyaa' Al-Turath Al-Arabi - Beirut, Edition: Third - 1420 AH.
21-Tafsir al-Mawardi = Jokes and Eyes, Editor: Sayyid Ibn Abd al-Maqsoud Ibn Abd al-Rahim, P: Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut / Lebanon.
22-Tafsir Al-Manar by Muhammad Rashid Rida, P: The Egyptian General Book Authority, year of publication: 1990 AD.
23-Tafsir Al-Nasfi (The Perceptions of the Download and the Realities of Interpretation), Edited by: Youssef Ali Badawi, revised and presented to him by: Muhyi Al-Din Deeb Misto, P: Dar Al-Kalim Al-Tayyib, Beirut, Edition: First, 1419 AH - 1998AD.
24-Jami' al-Bayan 'An Ta'wel Ay Al-Qur'an by al-Tabari, Editor: Ahmed Muhammad Shakir, P: Foundation of the Message, Edition: First, 1420 AH - 2000 AD.
25-Jami' Al-Sahih Al-Mukhtasar, the author: Muhammad ibn Ismail al-Bukhari, died: 256 AH, Publisher: Dar al-Sha`b - Cairo, Edition: First, 1987 AD.
26-Hashiyat Al-Shehab Ala Tafsir Al-Baydawi = Enayat Al-Qadi Wa Kifayat Al-Radi, P: Dar Sader – Beirut.
27-Al-Hamasa Al-Basarya, Author: Ali bin Abi Al-Faraj bin Al-Hassan, Sadr Al-Din, Abu Al-Hasan Al-Basri (died: 659 AH), Editor: Mukhtar Al-Din Ahmed, Publisher: World of Books – Beirut.
28-Al-Hamasa Al-Maghribia Mukhtasar Kitab Safwat Al-Adab Wa Nokhbat Diwan al-Arab, author: Abu al-Abbas Ahmad ibn Abd al-Salam al-Jarawi al-Tadli (died: 609 AH), Editor: Muhammad Radwan al-Daya, Publisher: Dar Al-Fikr Al-Mo'asir - Beirut, Edition: First, 1991 AD
29-Khizant Al-Adab by Abdul Qadir Al-Baghdadi, Editing and explanation: Abdul Salam Muhammad Harun, P: Al-Khanji Library, Cairo, fourth edition, 1418 AH - 1997 AD.
30-Al-Durr Al-Masoon fi Ulum Al-Kitab Al-Maknoun By Al-Samin Al-Halabi, Editor: Dr. Ahmed Muhammad Al-Kharrat, P: Dar Al-Qalam,

Damascus.
31-Derasat Fi Oloum Al-Qur'an, the author: Muhammad Bakr Ismail (died: 1426 AH), publisher: Dar Al-Manar, the second edition: 1419 AH-1999 AD.
32-Darj al-Durar Fi Tafsir Al-Ayat Al-Swar, the author: Abu Bakr Abd al-Qaher ibn Abd al-Rahman ibn Muhammad al-Farisi al-Farisi, al-Jurjani al-Dar (died: 471 AH), study and Editing: (Al-Fatihah and al-Baqarah) Walid ibn Ahmad ibn Salih al-Husayn, (and share the rest of the parts with him). Iyad Abdul Latif Al-Qaisi, Publisher: Al-Hikma Magazine, Britain, Edition: First, 1429 AH - 2008 AD
33-Diwan of Al-Nabigha Al-Thibiani, the author: Ziyad bin Muawiyah bin Dhabab bin Jaber bin Yarboo' bin Murrah bin Auf bin Saad, Al-Dhubyani, Al-Ghatfani (605 AD).
34-Roh Al-Ma'ani by Al-Alusi, Editor: Ali Abdel-Bari Attia, P: Dar Al-Kutub Al-Ilmia - Beirut, Edition: First, 1415 AH.
35-Zad Al-Masir Fi Al-Tafsir by Ibn al-Jawzi, Editor: Abd al-Razzaq al-Mahdi, P: Dar al-Kitab al-Arabi - Beirut, Edition: First - 1422 AH.
36-Smat Al-Laali fi Sharh Amali Al-Qali [It is the book Sharh Al-Amali Al-Qali / by Abu Obaid Al-Bakri; Copied, corrected and Edited what was in it and brought it out and added to it Abd al-Aziz al-Maimani], the author: Abu Obaid Abdullah ibn Abd al-Aziz ibn Muhammad al-Bakri al-Andalusi (died: 487 AH), copied, corrected, revised and verified what was in it and extracted it from the bellies of the books of knowledge: Abd al-Aziz al-Maimani, publisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmyya, Beirut - Lebanon
37-Sharh Al-Mu'allaqat Al-Tes', Author: Attributed to Abu Amr al-Shaibani (d. 206 AH) and his attribution is not correct. In the book, we say it is late for the time of Abu Amr and not style is his style, Editing and explanation: Abdul Majeed Hamo, Publisher: Al-Alamy Foundation for Publications, Beirut - Lebanon, Edition : Al-Oula, 1422 A.H. - 2001 A.D.
38-Sharh Diwan Al-Hamasa By Al-Tabrizi, P: Dar al-Qalam – Beirut.
39-Omdat Al-Hefaz Fi Tafsir Ashraf Al-Alfaz, Author: Abu al-Abbas, Shihab al-Din, Ahmad ibn Yusuf ibn Abd al-Daim, known as Samin al-Halabi (died: 756 AH), Editor: Muhammad Basil Oyoun al-Soud,

Publisher: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Edition: First, 1417 AH - 1996 AD.

40-Ghayt Al-Nehaya Fi Asmaa Rigalat Al-Qira'at Oly Al-Rewaya, by Abu al-Khair Shams al-Din Muhammad bin Muhammad, known as Ibn al-Jazari, edition of Ta'if for the publication of books and scientific messages, Kuwait, first edition in 1442.

41-Fattouh al-Ghayb Fi Al-Kashf 'An Kinaa' Al-Rayb (A footnote to al-Tibi on the Scout), Editing introduction: Iyad Muhammad al-Ghouj, academic section: Dr. Jamil Bani Atta, General Supervisor of the Scientific Direction of the Book: Dr. Muhammad Abdul Rahim Sultan Al Olama, Publisher: Dubai International Holy Quran Award, Edition: First, 1434 AH - 2013 AD.

42-Al-Kamous Al-Mohet, author: Majd Al-Din Abu Taher Muhammad bin Yaqoub Al-Fayrouzabadi (died: 817 AH), Editing: Heritage Investigation Office at the Al-Resala Foundation, under the supervision of: Muhammad Naeem Al-Araqsusi, Publisher: Al-Resala Foundation for Printing, Publishing and Distribution, Beirut - Lebanon, Edition: The eighth, 1426 AH - 2005 AD

43-Al-Kashshaf by Al-Zamakhshari, P: Dar Al-Kitab Al-Arabi - Beirut, third edition - 1407 AH.

44-Al-Kashf Wa Al-Bayan 'An Tafsir Al-Qur'an by Al-Thalabi, Editing: Imam Abi Muhammad bin Ashour, review and proofreading: Professor Nazeer Al-Saadi, Publisher: Dar Ehyaa' Al-Turath Al-Arabi, Beirut - Lebanon, Edition: First 1422 AH - 2002 AD.

45-Al-Labbab fi Ulum Al-Kitab, the author: Abu Hafs Siraj Al-Din Omar bin Ali bin Adel Al-Hanbali Al-Dimashqi Al-Nu'mani (died: 775 AH), Editor: Sheikh Adel Ahmed Abdel Mawgod and Sheikh Ali Muhammad Moawad, publisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmia - Beirut / Lebanon, Edition : First, 1419 AH - 1998 AD.

46-Lisan al-Arab, author: Muhammad bin Makram bin Ali, Abu al-Fadl, Jamal al-Din Ibn Manzur al-Ansari al-Ruwafa'i al-Ifriqi (died: 711 AH), publisher: Dar Sader - Beirut, Edition: Third - 1414 AH.

47-Al-Muharir Al-Wagez Fi Tafsir Al-Kitab Al-Aziz by Ibn Attia, the Editor: Abd al-Salam Abd al-Shafi Muhammad, P: Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut, Edition: First - 1422 AH.

48-Al-Musnad Al-Sahih Al-Mukhtasar Binakl Al-Adl 'An Al-Adl Ela Rasol Allah, may God's prayers and peace be upon him, the author: Muslim bin Al-Hajjaj Abu Al-Hasan Al-Qushayri Al-Nisaburi (died: 261 AH), the Editor: Muhammad Fouad Abdel-Baqi, publisher: Dar Ehyaa' Al-Turath Al-Arabi - Beirut

49-Ma'ani Al-Qur'an, the author: Abu Zakaria Yahya bin Ziyad bin Abdullah bin Manzor Al-Dailami Al-Farra (died: 207 AH), the Editor: Ahmed Youssef Al-Nagati / Muhammad Ali Al-Najjar / Abdel-Fattah Ismail Al-Shalabi, publisher: Dar Al-Masria for authoring and translation - Egypt, Edition : first.

50-Ma'ani Al-Qur'an Wa E'raboh By Al-Zaggag, Editor: Abdel Jalil Abdo Shalaby, P: World of Books - Beirut, Edition: First 1408 AH - 1988 AD.

51-Ma'ahid Al-Tansis Ala Shawahid Al-Talkhis, author: Abd al-Rahim ibn Abd al-Rahman ibn Ahmad, Abu al-Fath al-Abbasi (died: 963 AH), Editor: Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid, Publisher: World of Books – Beirut.

52-Al-Mo'jam Al-Mofasal Fi Shawahid Al-Arabia, Author: Dr. Emil Badi' Yaqoub, Publisher: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Edition: First, 1417 A.H. - 1996 A.D

53-Al-Mufradat Fi Ghareb Al-Qur'an, author: Abu al-Qasim al-Husayn ibn Muhammad, known as Raghib al-Isfahani (died: 502 AH), Editor: Muhammad Sayyid Kilani, publisher: Dar al-Maarifa, place of publication, Lebanon.

54-Al-Maoso'a Al-Qur'ania by Ibrahim bin Ismail Al-Abyari, P: Arab Record Foundation, Edition: 1405 AH.

55-Al-Maoso'a Al-Moyasara Fi Taragim 'A'imat Al-Tafsir Wa Al-Iqraa Wa Al-Nahw Wa Al-Lughah "from the first century to the contemporary with a study of their beliefs and some of their anecdotes", collected and prepared by: Walid bin Ahmed Al-Hussein Al-Zubayri, Iyad bin Abdul Latif Al-Qaisi, Mustafa bin Qahtan Al-Habib, Bashir bin Jawad Al-Qaisi, Imad bin Muhammad Al-Baghdadi, Publisher: Al-Hikma Magazine, Manchester - Britain, Edition: First, 1424 AH - 2003 AD.

56-Nozm Al-Durar Fi Tanasob Al-Ayat Wa Al-Swar, author: Burhan Al-

Din Abi Al-Hassan Ibrahim bin Omar Al-Beqai, publishing: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut - 1415, AH - 1995 AD, number of parts / 8, Editing: Abdul Razzaq Ghaleb Al-Mahdi

57-Nafahat Min Ulum Al-Qur'an, author: Muhammad Ahmad Muhammad Ma`bad (died: 1430 AH), publisher: Dar al-Salaam - Cairo, Edition: Second,: 1426 AH - 2005 AD

58-Nehayt Al-Arb Fi Funoun Al-Adab, the author: Ahmed bin Abdul-Wahhab bin Muhammad bin Abdul-Daim Al-Qurashi Al-Taimi Al-Bakri, Shihab Al-Din Al-Nuwairi (died: 733 AH), publisher: House of Books and National Documents, Cairo, Edition: First, 1423 AH.

59-Nawahid Al-Abkar Wa Shawarid Al-Afkar = Hashyt Al-Suyuti Ala Tafsir Al-Baydawi, P: Umm Al-Qura University - College of Da`wah and Fundamentals of Religion, Kingdom of Saudi Arabia (3 Ph.D. theses), Publication year: 1424 AH - 2005 AD.

60-Al-Hedaya Ela Bologh Al-Nehaya Fi Elm Ma'ani Al-Qur'an Wa Tafsiroh Wa Ahkamoh Wa Gomal Min Funoun Uloumoh, the author: Abu Muhammad Makki bin Abi Talib Hammoush bin Muhammad bin Mukhtar al-Qaisi al-Qayrawani and then the Andalusian al-Qurtubi al-Maliki (died: 437 AH), the Editor: a group of university letters at the Faculty of Postgraduate Studies and Scientific Research - University of Sharjah, under the supervision of Prof. Dr.: Al-Shahid Al-Bushikhi, Publisher: Al-Kitab and Al-Sunnah Research Group - College of Sharia and Islamic Studies - University of Sharjah, Edition: First, 1429 A.H. - 2008 A.D.

فهـرس الموضوعات

الموضـــــــوع **الصفحة**

ملخص البحث (عربي) ٢٣٣
ملخص البحث (إنجليزي) ٢٣٤
المقدمة..... ٢٣٥
التمهيد وفيه أربعة مباحث..... ٢٤٠
المبحث الأول: تعريف المثل لغة واصطلاحاً ٢٤٢
المبحث الثاني: أقسام الأمثال..... ٢٤٤
المبحث الثالث: فوائد ضرب الأمثال في القرآن الكريم ٢٤٨
المبحث الرابع: أهمية هذا المثل..... ٢٥٢
الفصل الأول: بيان معنى قوله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ البقرة: ١٧ – ١٨: وفيه مباحث..... ٢٥٤
المبحث الأول: بيان معنى المثل إجمالاً ٢٥٤
المبحث الثاني: بيان معنى قوله تعالى (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) وفيه مطالب: ٢٥٧
المطلب الأول: فيه أنه يقتضي تشبيه مثلهم بمثل المستوقد، فما مثل المنافقين ومثل المستوقد حتى شبه أحدهما بالآخر؟..... ٢٥٧
المطلب الثاني: ما المراد بقوله تعالى: (استوقد) ؟..... ٢٦٥
المطلب الثالث: من استوقد ناراً فأضاءت قليلاً فقد انتفع بها وبنورها ثم حرم، فأما المنافقون فلا انتفاع لهم البتة بالإيمان فما وجه التمثيل ؟..... ٢٦٧
المطلب الرابع: مستوقد النار قد اكتسب لنفسه النور، والله تعالى ذهب بنوره وتركه في الظلمات، والمنافق لم يكتسب خيراً وما حصل له من الخيبة

والحيرة فقد أتى فيه من قبل نفسه، فما وجه التشبيه ؟.....٢٦٩
المطلب الخامس: ما الذي يفيده التنكير في قوله تعالى: (استوقد نارا) ؟ ٢٧٢
المبحث الثالث: بيان معنى قوله تعالى (فلما أضاءت ما حوله).....٢٧٣
المطلب الأول: يقع في كتاب الله تعالى تشبيه الايمان بالنور والكفر بالظلمة.....٢٧٣
المطلب الثاني: الاضاءة فرط الانارة ومصداق ذلك قوله تعالى (هو الذي
جعل الشمس ضياء والقمر نورا) ٢٧٥
المطلب الثالث: تفسير قوله تعالى: (ما حوله) ٢٧٧
المطلب الرابع: الظلمة في أصل اللغة عبارة عن النقصان. ٢٧٩
المطلب الخامس: في بيان معنى (لما) وما تقتضيه: ٢٨١
المبحث الرابع: بيان معنى قوله تعالى (ذهب الله بنورهم)، وفيها مطالب: ٢٨٧
المطلب الأول: لم قال (ذهب الله بنورهم) ولم يقل: (أذهب الله نورهم) ؟ ٢٨٧
المطلب الثاني: هلا قيل: ذهب الله بضوئهم، لقولهم (فلما أضاءت) ؟.....٢٩٣
المطلب الثالث: هلا قيل: ذهب الله بضوئهم، لقولهم (فلما أضاءت) ٢٩٦
المطلب الرابع: لم جمع الضمير في قوله (بنورهم) مع كون الضمير في
(ماحوله) مفردا.....٢٩٧
المطلب الخامس: ما موقع جملة (ذهب الله بنورهم) ؟.....٢٩٨
المطلب السادس: ما وجه إسناد إذهاب النور إليه سبحانه وتعالى ؟ ٣٠٠
المبحث الخامس: بيان معنى قوله تعالى (وتركهم في ظلمات لا يبصرون)
وفيه مطالب: ٣٠١
المطلب الأول: ما معنى الترك في قوله: (وتركهم) ؟ وما عمل هذا الفعل
فيما بعده؟.....٣٠١
المطلب الثاني: لم حذف مفعول (لا يبصرون) ؟.....٣٠٦
المطلب الثالث: لم جمع ظلمات ولم يأت بها مفردة ؟.....٣٠٨
المطلب الرابع: ما وجه الشبه الوارد في هذا المثال ؟ ولماذا أجمله ؟.....٣١١

المطلب الخامس: ما الذي تفيده هذه الجملة: (وتركهم في ظلمات لا يبصرون) ؟..... ٣١٣
المبحث السادس: بيان معنى قوله تعالى (صم بكم عمي فهم لا يرجعون) وفيه مطالب: ٣١٦
المطلب الأول: ما معنى قوله (صم بكم عمي) ؟..... ٣١٦
المطلب الثاني: ما إعراب قوله (صم بكم عمي) ؟..... ٣١٩
المطلب الثالث: ما معنى قوله (فهم لا يرجعون) ؟..... ٣٢٣
المطلب الرابع: ما الذي يدل عليه قوله تعالى: (صم بكم عمي) هل يدل على كونهم كذلك على الحقيقة ؟..... ٣٢٧
المطلب الخامس: هل هذا الأسلوب تشبيه أم استعارة ؟..... ٣٢٩
الخاتمة..... ٣٣١
فهرس المراجع..... ٣٣٢